

XII

الشيخ محمد علي الحاج العامليّ

في ضيافة «الشیطان الأكبر»

وقائع رحلتي إلى الولايات المتحدة الأميركية

يلیها

في خضم «الربيع العربي»

رسائل مفتوحة إلى رفاق الرحلة

Sheikh Mohammad Ali al-Hajj

A Guest of the "Great Satan"

The US Travelogue of a Lebanese Shia Cleric

هنا



الشيخ محمد علي الحاج العاملي

في ضيافة «الشیطان الأكبر»

وقائع رحلتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية

يلیها

في خضمّ «الربيع العربي»

رسائل مفتوحة إلى رفاق الرحلة

هيا بنا

الإصدار الثاني عشر، تموز ٢٠١١

ملحق دوري يصدر عن خطط لبنانية

www.hayyabina.org • hayyabina@hayyabina.org



تغرّب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج همّ واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفار همّ وكربة
وتشتيت شمل وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته
بدار هو فيها بين واش وحاسد

شعر منسوب للإمام علي (ع)

[صفحة بيضاء]

مقدمة

منتصف رمضان المبارك الماضي، قمت بالسفر إلى الولايات المتحدة الأميركية، لشهر إلا أيام. كانت هذه التجربة فريدة بالنسبة لي، حيث إنني لم أتجراً فيما مضى على ركوب الطائرة، رغم دعوات عديدة وَّجَّهت إليّ لزيارة الصين والسويد وسويسرا وغيرها من البلدان. هكذا إذا وافق سفري إلى الولايات المتحدة تجرئي على ركوب الطائرة، وركوب الطائرة تجرئي على زيارة «الشیطان الأكبر» في عمر داره... تجربة جديدة اكتسبتها خلال هذه الرحلة الأميركية، أقل ما أقوله فيها أنها زادتي علماً وتجربة، ومن ثم رغبتني أن أضع مشاهداتي، خدمة للحقيقة، في متناول الجميع.

لقد عدت من الولايات المتحدة وكلي يقين أن على المسلمين أن يتعرّفوا إلى أميركا بشكل دقيق وموضوعي بعيد عن الأحكام المسبقة، وأن على الأميركيين أن يتعرّفوا إلى المسلمين بالشكل نفسه. فالحديث يقول: «المرء عدو ما يجهل»، والأمان العالمي اليوم رهن بالتعارف البشري السليم، البعيد عن الأحقاد والانطباعات المغلوطة. ثلاثة بالمائة من الأميركيين، على الأقل، هم من المسلمين، أي ما يزيد على السبعة ملايين نسمة، ومن بينهم أكثر من مليون شيعي، وهؤلاء ينتشرون في أنحاء الولايات الأميركية الخمسين، ولهم مساجدهم، وحسينياتهم، وإعلامهم، ومعاهدتهم،

ونواديبهم، ومطاعمهم، وملاحمهم، واستهلاكياتهم. وحتى حملات الحجّ الخاصة بهم، بل وكل ما يشاؤون.

عقب ذلك تسأل: لماذا هذه العلاقة المتشنّجة بين أميركا والعالم الإسلامي، في حين أن المسلمين يعيشون فيها بسلام وأمان؟ بعيد التفكير ملياً يتبيّن أن المسؤولين عن سوء العلاقة بين هذه الدولة القارة وهذا العالم المتعدد الدول يتحمّلها المسلمون والأميريكيون عموماً، والمسلمون الأميركيون تحديداً.

على أميركا أن لا تعادي العالم الإسلامي، كما أن على العالم الإسلامي أن لا يعادي أميركا، وعلى المسلمين الأميركيين أن يشكّلوا جسر تواصل بين الفريقين، ويكونوا رسل محبّة، ودعاة خير وسلام.

قد لا يعجب هذا الكلام الكثيرين؛ ولكنني لا أبحث عن رضا الناس، فأنا إنّما أقول قناعاتي، وأتصرّف بواقعية، وحسب ما تقتضيه المصلحة الإسلامية العليا.

أخيراً لا آخراً، لا يسعني في ختام هذه العجالة إلا أن أتوجه بجزيل الشكر إلى كل من أعدّ وسهّل واستقبل واستضاف، لا سيما برنامج «الزائر الدولي»، والعلامة الشيخ عبد اللطيف برّي والسيد حسن القزويني والطلاب المسلمين في جامعات سان فرنسيسكو والعائلة الباكستانية في كانساس سيتي (ميسوري).

محمد علي الحاج العاملي

سد البوشرية

١ ذو القعدة ١٤٣١ هـ

٩ تشرين الأول ٢٠١٠ م

أكثر من ثلاث و ثلاثين سنة، أي طوال سني عمري، لم أسافر خلالها سوى مرّات قلائل إلى سوريا، وتحديداً إلى السيّدة زينب^(ع) - هذه المنطقة التي تشبهه، بكل المقاييس، أسوأ المناطق في لبنان: بحشودها، وآساخ طرقاتها، ورداءة عمرانها، ومجمل العيش فيها، ولكن ما يميز هذه المنطقة، وما يشفع لها رغم هذه المنفرات هو وجود الضريح المبارك للسيّدة زينب بنت علي^(ع)، هذا المقام الذي يشعّ نوراً وبركة على المحيط.

المهمّ أن الذهاب من لبنان إلى سوريا لا يعتبر سفراً، خصوصاً أن الوقت الذي يستغرقه هو نفسه الذي يستغرقه الذهاب من بيروت إلى الهرمل في لبنان. وعليه، فإن الرحلة الأميركية كانت إطلالة أولى على هذا الحيز الكبير من العالم.

جميل أن يزور رجل دين مثلي، تربى في بيئة معينة، ولم يخرج ليرى العالم، ولا يملك خبرة في وسائل الاتصال الحديثة، ولم يطّلع على العالم من هذا المنظار، ولا يجيد لغة غير العربية، ما يعني عدم فهمه لما يُنشر عن هذا العالم باللغات الأجنبية -، جميل أن يزور الولايات المتّحدة الأميركية، أو قل أنحاء متفرقة من هذا البلد المربك في شجاعته.

واجهتُ صعوبة في فهم الآخرين، وفي تفهيمهم ما أريد، استغرقت كثيراً من نمط عيشهم، واستفدت كثيراً أيضاً، تعلّمت الاقتصاد في الصرف، في الأكل والكلام والحركات...

كما استغرقتُ حينما وددت شراء البطيخ، حيث إنه يباع بحجم حبة المشمش. أتذكر والدي حينما كان يأتي بائع البطيخ إلى حيّنا، ولم يكن والدي يعرف شراء بطيخة أو اثنتين أو ثلاث...، بل كان يشتري كل ما تحمله الشاحنة أو ما تحمله العربات!

تنظر إلى منازلهم ذات الجمال الفائق من الخارج، وتدخل فيها فترى مساحات محدودة جداً، في الصالون، في الحّمّام، في المطبخ، في غرف النوم. بخلاف نمط البناء لدينا، حيث إنّنا نأخذ المساحات بطريقة «العرض»، وهم يأخذون أسلوب استعمال المساحات بشكل منتج أكثر.

تأتي إلى الإنارة في المساكن والمكاتب، فتري اقتصاداً وجمالية عالية.

ماء الشرب معبأ في مستوعبات متعدّدة الأحجام، من الصغيرة جداً، إلى الأكبر، فالأكبر، لا ترى من يزهد في شيء ذي قيمة، أو يبذّر في شيء. كلُّ يأخذ حاجته فقط.

في الولايات المتّحدة ترى النظام بشكل فائق، دقة في المواعيد، لا أحد يتأخّر، الجميع يحترم الوقت، وطبعاً هذا شيء يثير

الدهشة لمن اعتاد العيش في بلد كلبنان، حيث عدم احترام الوقت والمواعيد هما السائدان.

أما من يريد المرور من شارع لآخر فعليه أن ينتظر إشارة المرور، ولا أحد يتحرك حتى يحين الوقت. وفي المحال التجارية يقف الناس بالصف، بكل احترام. وخلال ٢٨ يوماً لم أر أحداً خالف النظام سوى مصري، حيث تبضع ثم تجاوز من سبقه في الصف.

وخلال الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات، لا يتحدث أحد إلا حتى يحين وقته ويأتي دوره.

أجمل ما في أميركا أنك ترى كل البشرية، من كل الألوان، السود، والبيض، والشقر... من آسيا وأوروبا، وأفريقيا... بلد يختصر الكون!

أولى محطاتي في الرحلة، كانت في واشنطن، التي تسمى واشنطن دي سي أو «واشنطن مقاطعة كولومبيا» حيث إن دي سي اختصار لـ«مقاطعة كولومبيا». كما ويطلق عليها واشنطن العاصمة، ففي الولايات المتحدة ولاية اسمها «واشنطن» هي غير العاصمة. وأما العاصمة واشنطن فهي أصغر من ولاية،

ويسكنها أقل من ستمائة ألف شخص بقليل.

ولأن اسم واشنطن يتردد في الإعلام بشكل دائم، لوجود مركز البيت الأبيض فيها، مكان عمل وسكن الرئيس الأميركي، ولأنها عاصمة الولايات المتحدة الأميركية، وفيها الكونغرس، وسواه من المراكز ذات الأهمية والتأثير؛ فإن كل ذلك يولد فكرة مفادها أن هذه المنطقة مكتظة بالسكان، لا تهدأ حركتها، مليئة بالناس، ويسودها الازدحام.

ولكن ما إن تطأ قدمك أرض واشنطن، وتتجول في شوارعها، حتى تجد أن العكس هو الصحيح، حيث إن الهدوء هو السمة البارزة، والحراك غير ملفت.

وأما اختيار واشنطن لتكون عاصمة للولايات المتحدة الأميركية، فقد نشأت هذه الفكرة بعد كثير أخذ ورد، ثم التوافق بعده ألا تكون العاصمة ولاية بنفسها؛ إذ إن الولايات المتحدة تضم عشرات الولايات، وهذا يخلق العديد من التعقيدات في عملية الحكم والإدارة، ولا يمكن إصدار أي قرار إلا بعد أخذ توازنات كثيرة في عين الاعتبار.

وهكذا وقع الاختيار على هذه المدينة الصغيرة، لتكون مركزاً للحكم، وعاصمة للولايات المتحدة. هذا مع العلم بأنه في بداية الأمر لم يكن يحق للناخبين في

واشنطن المشاركة في انتخابات الرئاسة الأمريكية، وظل الأمر كذلك حتى فترة ليست ببعيدة، حيث سُمح لهم بذلك. علماً أنه، حتى يومنا هذا، ما زال ممثل واشنطن في الكونغرس، المنتخب من الشعب، لا يحق له التصويت في الكونغرس؛ بل إنه مجرد ممثل لواشنطن فقط، ويتحدث باسمها دون أن يكون له حق التصويت.

الوصول إلى واشنطن

صحيح أنني انطلقت عند الثالثة فجراً من يوم الجمعة ٢٨ آب ٢٠١٠ من بيروت، باتجاه واشنطن، مروراً بألمانيا؛ ولكنني وصلت الساعة الثانية بعد الظهر إلى مطار واشنطن دي سي الذي يقع في ولاية فرجينيا، وليس في واشنطن كما يُتوقع، حيث إن فرجينيا تحدّ واشنطن؛ وصحيح أن الرحلة تستغرق وقتاً أكبر، لكن بما أن التوقيت في لبنان يسبق التوقيت في واشنطن بسبع ساعات تقريباً، لذا فإنني وصلت في اليوم نفسه.

من المطار مباشرة إلى مقر الإقامة في فندق Residence Inn by Marriott في الغرفة رقم ١١١١، الواقعة في الطابق الحادي عشر. الذي ظلّ يشكّل لي هاجساً طيلة فترة الإقامة، بسبب علوه.

اليوم الأول أمضيته مستغرباً؛ فأنا لم أعتدّ على جو أميركا بعد، كما أنني لم أفهم

طبيعة الحياة لدى الأميركيين، وكيفية تعاملهم.

في اليوم التالي، أي في ٢٩ آب، خرجت في جولة للاطلاع على هذه المدينة، شملت جميع أرجائها، وأطلعت خلالها على أبرز المعالم فيها، فشاهدت البيت الأبيض، ومبنى الكونغرس، ومقر المحكمة العليا، ومكتبة شكسبير العامة، ومتاحف متعددة، وجامعة جورج تاون، وجامعة جورج واشنطن...

وقد شملت هذه الجولة زيارة للمسجد الإسلامي في واشنطن، هذا المسجد العامر الذي يقصده المسلمون من الجوار، ويتميّز بالحركة والحيوية. وشاهدت نصباً للرئيس لينكولن في إحدى الحدائق، وهو كان رئيساً للولايات المتحدة، ويذكرونه دائماً بحكمته.

وكما مرّ، فإن واشنطن دي سي مدينة صغيرة، وأهميتها تكمن في مراكز الثقل السياسي والاقتصادي والعسكري فيها. وتحدها ولاية ميريلاند من جهة، ومن جهة أخرى ولاية فرجينيا. وما يلفت النظر هنا وجود نهر يفصل بين فرجينيا وواشنطن، وهذا النهر ليس طبيعياً بل مستحدث من قبل الدولة، ويضفي على المنطقة جمالية أخّاذة.

كانت الرحلة السياحية في واشنطن موفّقة بسبب وجود دليل سياحي معروف جداً،

وصاحب خبرة عالية في هذا المضمار هو الدكتور تشارلز سبنسر الخبير والدليل السياحي، البالغ من العمر ما يزيد على السبعين عاماً، وهو صاحب روح مرحة. في اليوم الثالث، أي في ٢٠ آب، حضرت إفطاراً رمضانياً في مطعم لبناني هو «مطعم نائلة لمشاوي البحر الأبيض المتوسط»، وقد كان مكتظاً بالإخوة العرب عامّة والعراقيين خاصة الذين تعرفت من بينهم إلى: كامل ناصر الزيدي، رئيس مجلس محافظة بغداد، ومحفوظ التميمي قائم مقام عين التمر في محافظة كربلاء، وشابّ لبناني مسيحي من آل الحاج، وقد دار حديث مفيد جداً حول القضايا المشتركة التي تهّم الأمة العربية والإسلامية.

يوم الثلاثاء، في ٢١ آب، تعرفت على الدكتور أكرم الياس، اللبناني الأصل الذي يسكن أميركا منذ ما يزيد على العشرين عاماً، وهو متزوج من سيّدة أميركية، وهو خبير في العلاقات الدولية، ورئيس مجموعة كايبتال للاتصالات. وهذه المؤسسة ذات صيت بعيد، وهي موضع احترام الفاعلين في تلك البلاد. والدكتور الياس صاحب رأي مسموع، ومحلّ مجيد، ويتمتع بأخلاق عالية، وروح طيبة.

يوم الأربعاء ١ أيلول سافرت من واشنطن دي سي، إلى مقاطعة سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا.

خلال السفر نزلنا في مطار شيكاغو، لساعتين ونصف الساعة، ثم تابعنا نحو سان فرانسيسكو. ومن الأمور الملفتة للنظر أن الوقت يختلف بين واشنطن و كاليفورنيا ثلاث ساعات، كما أن السفر من واشنطن إلى سان فرانسيسكو يستغرق ثماني ساعات تقريباً في الجوّ، ما يظهر المساحة الشاسعة التي تفصل بين المنطقتين، وتالياً توضح حجم هذه الدولة - القارة ! في هذا البلد وجدت حركة سكانية قوية، لا تهدأ ليل نهار.

من يعيش في واشنطن دي سي ويأت إلى سان فرانسيسكو يرّ فارقاً كبيراً في نمط العيش وطبيعته في كل من الولايات المتحدة الأميركية الخمسين.

كنت قد مكثتُ أياماً في العاصمة الأميركية، وكوّنت انطباعاتاً مفاده أن العيش في الولايات المتحدة هادئ، رسمي، بعيد عن الصخب الذي توجي به البرامج التلفزيونية التي تضيء على الحياة الأميركية. ترى الوداعة والنظام، وكل ما هو جميل ومرتب ومنظم وهادئ... ولكن ما إن تدخل إلى سان فرانسيسكو حتى ترى مشهداً معاكساً للانطباعات السابقة.

كل ما كنت أعرفه عن كاليفورنيا أنها تنتج

الفول، وذلك من خلال دعاية سمعتها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، كانت تقول بلغة غنائية باللهجة العامية المصرية: «في حدائق كاليفورنيا أحلى فول... دوقها مرة واحدة تحبها على طول» ولم تكن كاليفورنيا تعني لي شيئاً سوى الفول المدمس، لأنني لم أسمع عنها شيئاً آخر.

وأما سان فرانسيسكو، فكل ما كانت توحيه لي هو ذاك السندويش، الذي أخذ ينتشر في لبنان منذ عقد من الزمن بشكل كبير. ولا يخلو مطعم حديث من سندويشات «فيلا دلفيا» و«فرانسيسكو» و«فاهيتا» و«مكسيكو» و«تشيلي»... وسواها، ولعل سبب تسميتها يعود إلى مناطق نشأتها أو إلى مكان رواجها، وقد يكون لأسباب أخرى، ولكنني لا أدري أكثر من ذلك، وهذا أقصى شيء كنت أعرفه عن فرانسيسكو.

وفي الوقت عينه، لا أتوقع أنني اللبناني الوحيد الذي لم يسمع عن كاليفورنيا إلا عند الحديث عن إنتاجها للفول، ولا يعرف عن سان فرانسيسكو إلا اسم سندويشها وطعمه، حتى أنني لم أكن أعرف أن هناك صلة بين سان فرانسيسكو وكاليفورنيا، حيث إن الأولى مقاطعة في الثانية.

اليوم الأول

عندما حطت رحلي في مطار سان فرانسيسكو قبيل الرابعة عصراً، قادنا

السائق إلى مقر الإقامة في Hotel Nikko حيث نزلت في الغرفة ٨١٩، في الطابق الثامن.

عند وصولي رتبت أغراضي في الغرفة، ثم أردت الخروج لجلب بعض الحاجيات. كنت أتمنى وجود شخص يجيد اللغتين الإنكليزية والعربية، حتى أجعله يرافقني لشراء ما أحتاجه، وبالفعل فقد صادفت جزائرياً اسمه خليل صخري. ومع أنني لم أرتح لمرافقته، إلا أن حاجتي لمترجم تزامنت مع رغبته للذهاب وشراء كومبيوتر محمول (لاب توب)... وهذا ما أدى بنا للذهاب معاً إلى مكان يبيع آلات كومبيوتر، وتتوفر فيه في الوقت نفسه سلع أحتاجها. قصدنا المكان الذي أشار إليه خليل، فدخلنا، وتبين أنه لا يبيع سوى إلكترونيات، فانزعجت كثيراً، كونه كذب عليّ وهو يعلم بواقع الأمر، ثم أتعبني كثيراً كونه يود شراء الكومبيوتر ويخاف دفع المال، فما كان مني إلا أن ثرت في وجهه، وهممت بالرحيل وحدي دونه، ولكنه تمسك بي وألح عليّ أن أنتظره بعض الوقت وهكذا كان.

في الواقع، كنت أخاف من التجوال وحيداً، أولاً لأنني لا أعرف مخاطبة التاكسي، ولا أحسن الوصول إلى مكان الإقامة، وثانياً لما سمعته عن العصابات التي تجوس في هذه المنطقة، لذا انتظرت الجزائري لنترافق. وحين انتهى خليل من تبضعه

بتاريخ ١ أيلول أويت إلى غرفتي في الفندق، طالعت، وتابعت تصنيفاً وجيزاً في المنطق، كنت بدأت به قبيل توجهي إلى أميركا، ورغبت إكمالها في أوقات الفراغ في سفري، وهكذا كان.

اليوم الثاني

في صبيحة اليوم التالي، ٢ أيلول، وبينما كنت منشغلاً بقضايا كتابية، إذاً بمحمد المميز، وهو شابّ عراقي، يتّصل بي ليقطعني عن اهتماماتي، وليذكّرني بموعد مع أحد المراكز الثقافية: المركز الثقافي الاجتماعي العربي.

زرت المركز، والتقيت بالمشرفة عليه، التي أطلعتني على أجواء عملهم. تناقشنا في وضع العرب في سان فرانسيسكو، وعموم كاليفورنيا.

هذا المركز ينشط على مستوى مقاطعة سان فرانسيسكو، ويقوم بدور فاعل على المستوى العربي، يقيم دورات لتعليم اللغة العربية، خصوصاً للعرب الذين ولدوا في أميركا ولا يجيدون التكلم باللغة العربية.

ويقوم المركز بتنظيم معرض للتراث العربي، بشكل سنوي يشترك فيه العرب، من الأقطار العربية كافة. وكان حصل في العام ٢٠١٠ «المهرجان الثقافي العربي السنوي السادس عشر».

كما أن المركز ينشر بعض الإصدارات

وخرجنا، لم نوفق بسيارة أجرة، فأخذنا في المشي وبمقدار ما كنا نمشي كانت الرهبة تأخذني، والخوف يزداد فيّ، حيث شاهدت أشخاصاً غير طبيعيين، يظهر عليهم إدمان المخدرات، والسكر، والقمار، والشر ياد على وجوههم، والأمراض تقتك بأجسامهم، والفقر يغطّي ملامحهم... ما يجعلهم مستشرسين ومؤهلين لارتكاب الجرائم.

كنت أدعو الله، عزّ وجل، أن ييسّر خروجي من هذه البيئة، على ألاّ أكرّر مجيئي إلى مكان كهذا. وكنا كلّما دخلنا شارعاً ننتظر فيه سيارة فلا نعثر، نمكث فيه بعض الوقت، وعبثاً حاولنا، فقد تكرّرت هذه القصة في ما يقرب من عشرة شوارع كبيرة، حيث مشينا مسافة لا يستهان بها إلى أن وجدنا امرأة مسنة تعمل على سيارة أجرة، وكانت تشتري طعاماً من محطة بنزين، فطلبنا منها إيصالنا، فوافقت، وهكذا انتهيت من هذه المعمة التي لم أجرؤ على تكرارها، وشعرت بأن كابوساً ثقيلاً قد انزاح عني.

حين ركبت سيارة أجرة لأول مرة صادفت سائقاً شاباً متهوراً، يقود السيارة بشكل جنوني، دون وعي، ويسرع بشكل مخيف، ويبدو أنه يتعاطى الممنوعات مما ذكرني ببعض الشباب اللبناني - لا سيما العاملين منهم على بعض الحافلات الصغيرة (الفانات)!

التي من شأنها ترسيخ الوجود العربي، والتي تربط العرب بثقافتهم وبلدانهم وعاداتهم وتقاليدهم.

كذلك، فإن المركز ينشط بشكل كبير لحثّ العرب للضغط على الدولة، لجعل الأصل العربي من جملة أصول يتمّ تسجيلها خلال الإحصاء السكاني الذي تجريه الولايات المتحدة بشكل دوري، كل عشر سنوات.

(الدولة الأميركية تسجّل بعض الأصول، مثل: آسيوي، أفريقي... ولا تخصّص للمتحدّرين من أصول عربية خاصة بهم، فالأصل العربي لا يدخل ضمن الإحصاء، وهذا ما يؤدي إلى جهل العرب عددهم بشكل دقيق).

وفضلاً عن دعوة المركز لتخصيص خانة خاصة بالعرب، فإنه يطلب من العرب ذكر أصلهم العربي، دون وجود خانة لذلك. ورغم خلوّ الإحصاء من ذكر هذا الأصل، فإن الدولة تعرف عدد العرب الكبير في الولايات المتحدة؛ وإن لم تعلن الدولة عن ذلك، ولكن تبقى هذه الاستثمارات في الأرشيف.

حيث إنه جرت إحصائيات في العام ٢٠٠٩ أظهرت أن هناك ٦٥٠٠٠ فلسطيني في سان فرانسيسكو فقط، وليس في كاليفورنيا، وجزء منهم أتى قبل ١٩٤٨، كما أتى عراقيون في مراحل متعددة، وخصوصاً بعد سقوط صدام حسين، وحالياً يوجد

في سان فرانسيسكو ١٨٠،٠٠٠ عربي، هذا بناء لمعلومات «المركز الثقافي الاجتماعي العربي».

الغداء في المطعم الصيني

بعدما رجعت من المركز الثقافي العربي، إذا ببعض الصديقات يدعوني لمرافقتهنّ إلى المطعم الصيني، فاعتذرت منهنّ، ولكنهنّ لم يرضين بذلك، وطلبن مني بشكل ملحّ قبول دعوتهنّ.

بعد ذلك، استجبت لدعوة السيّدات شكرية حاتم (سورية) وباولا ناصيف وكريستال الشايب (لبنانيتين).

والدخول إلى هذا المطعم له نكهة خاصة، حيث تفاجأت بأصناف طعام أراها للمرة الأولى في عمري، وبطبيعة الحال وجدت صعوبة في اختيار وجبة طعام تتناسب مع ما يجوز أكله في الشرع الإسلامي، إلى أن علمت بوجود نوع يتضمن خضاراً مع الأرز، فطلبتّه.

وقد تضمن الطبق أنواعاً من الخضار والفاكهة، مثل: البطاطا، الباذنجان، الكوسا، الأناناس، البازيلاء... وأصنافاً أخرى، طعم بعضها حلو، والآخر مالح، لا أعرف ماهية هذه المأكولات! وما كنت أهضمه حينها - على مستوى عقلي ومعدتي - أنني أملاً معدتي، بأي شيء حتى أستطيع إكمال الفترة المتبقية لي في هذه البلاد.

إفطار الطلاب المسلمين في سان فرانسيسكو

في اليوم نفسه، ليبت دعوة إلى إفطار رمضاني في إحدى الجامعات في سان فرانسيسكو، دعا له الطلاب المسلمون، حضره ١٥٠ شخصاً تقريباً من كل الجنسيات، من الذكور والإناث، والكثير من الفتيات كن يرتدين الحجاب الإسلامي.

وبينما أنا في الجامعة، إذا بإحدى الفتيات من الإمارات العربية المتحدة - وقد عرفت أنني لبناني - تتابعني، طالبةً مني التعرّف على طالبة مسلمة لبنانية، وهي شيعية من الجنوب اللبناني اسمها ساره صباغ، وهي تتكلم العربية بشكل طفولي، فأخذت تحدثني عن حالهم في أميركا، وأنها من مواليد كاليفورنيا، كما أنها مع عائلتها ترددت إلى لبنان أكثر من مرة. وأبلغتني عن تعلقها بوطنها، رغم عدم معرفتها الكثير عنه، ورغم حداثة عهدها بالتعرّف إليه.

بعد ذلك أخذ عدد من الشباب يلتفون حولي، رغبةً بالتعرف عليّ، ثم قدّم عدد من الشباب الملتحين، وتحدّثوا إليّ، وقد تولّت الفتاة الجنوبية مسؤولية الترجمة، حيث تبين أنهم من الجالية الإيرانية في كاليفورنيا، وقد وجّهوا لي دعوة لكي أقوم بقراءة دعاء الافتتاح، وبععض الواجبات الدينية العبادية في مركز ديني لهم في

المقاطعة نفسها، كما راحوا يسألونني عن وضع لبنان، ووضع الشيعة، وحدثوني عن حالتهم، وعن انشدادهم إلى الإسلام ومفاهيمه، ومحاولتهم توطيد معتقداتهم والمحافظة على إيمانهم...

لكم كان سروري بالغاً لوجود هذه الحالة الإسلامية المتدينة في سان فرانسيسكو، عشرات الصائمين، عشرات المحجّبات، كثير من الشباب والشابات يفتخرون بانتمائهم للدين الإسلامي. وممّا يزيد الفرحة أن المسلمين السنّة والشيعة يحترمون بعضهم بعضاً، ويتحابّون ويتفاعلون فيما بينهم، بعيداً عن كل الخلافات السطحية التي تحصل في بعض المجتمعات المختلطة بين السنّة والشيعة.

ولدى تدقيقي ببعض الجنسيات تبين لي وجود جالية فلسطينية كبيرة في سان فرانسيسكو، وكذلك هناك جالية إيرانية كبيرة أيضاً، والشيء نفسه بالنسبة للعراقيين.

التطوّع بالزّيّ الديني...

في مدينة سان فرانسيسكو تطوّعت للعمل مدة ساعتين، في مطعم يقدم وجبات الطعام مجاناً للفقراء والمعوقين والمتشرّدين، وقد كان لهذا الفعل الأثر الإيجابي والطيب.

استغرب كثيرون كيف أن عالم دين يقوم بتقديم الطعام للناس، كما صادفت امرأة

المطعم الإيراني؛ أخيراً بعض الأرز...

من الأمور التي توقّفت عندها كثيراً في سان فرانسيسكو - والتي قد لا يكون لها معنى في غير هذا الجوّ الذي كنت فيه - قصّة تناولي الطعام في المطعم الإيراني.

فبعدما تناولت الطعام مرّة مع الطلاب المسلمين الجامعيين، وانحصر طعامي بالبيتزا بالجبنّة والخضار فقط، حتى سئمت منها إلى أن أبلغني صديق شيعي كويتي بوجود مطعم إيراني قرب المنطقة التي أقطن فيها، وتحديدأً قرب «المدينة الصينية» (الحي الصيني)، وهو يبعد عن الفندق حوالي ثلث الساعة سيراً على الأقدام. وسألني الكويتي عن طريقة الذهاب إلى المطعم: بالسيارة أم مشياً؟ فاخترت المشي، ذلك لوجود متعة في التجوّل في «المدينة الصينية»، هذه الجزيرة البشرية الرائعة، بمحالّها، ومنتجاتها، وصناعاتها، وزراعاتها... ناهيك عن التحركّ وعدم الخمول.

مررنا بـ «المدينة الصينية» من أولها إلى آخرها، ووصلنا إلى المطعم الإيراني، هذا المطعم الفخم، المميّز بجماله ورونقه، وبنظافته، وبحسن الاستقبال.

طلبنا أطباقاً إيرانية، مع الكباب، وكانت هذه هي الوجبة الوحيدة التي تشعرنني باللذّة بشكل كبير، منذ قدومي إلى أميركا، قبل عشرة أيام تقريباً.

مسنّة رفضت أخذ الطعام منّي، لأنني كنت أرثدي الزيّ الديني الإسلامي.

كنت أفرح حينما أقدمّ وجبة للفقراء والمسنّين. كنت أشعر أنني أقوم بعمل إنساني، لوجه الله، وهؤلاء الناس من كل الأديان، وقد يكون فيهم لا دينيون، ولكنني أنطلق في التعاطي معهم بخلفية إنسانية.

في هذا المطعم كان هناك العشرات من الذين يتطوّعون للعمل الإنساني، طلاب جامعات، أشخاص أثرياء، وأناس من كل الفئات الاجتماعية والعمرية، ومن الجنسيتين.

وبينما أنا أهم بالرحيل من هذا المطعم، فإذا برجل يخاطبني: ما أجمل الزي الذي ترتديه! فما كان من إحدى الصديقات إلا أن ترجمت نص كلامه لي. فعلّقت على ذلك بأن هذا الرجل قد أعجب بزيّ، وتالياً فإنه اعتبر الجبّة والعمامة والعباءة، هي موضة، من جملة أنواع كثيرة من الموضات التي تنتشر في هذه المقاطعة، والظاهر أنه لا يعرف أن هذا الزي يخص علماء الدين المسلمين - بل اعتبره من ابتكار أزياء هذه البلاد.

وتابعت معلقاً: قد يأتي يوم هنا، في سان فرانسيسكو، وترى بعضهم قد أعجب بنمط لبس العمامة والجبّة...، فيعمد لإدراج هذه الموضة ضمن الألبسة المتنوعة الأشكال، التي يرتدونها في هذه البلاد!

أكلت الأرزّ بنهم وشغف، شبعت، ورغم ذلك أكلت ما تبقى في الصحن إذ لا أعلم إن كنت سأعود لأكل الأرزّ ثانية خلال فترة وجودي في هذه البلاد، التي قلّما تستعمل هذا الصنف في الطعام.

الذهاب للمسجد والهروب منه

في اليوم الثالث من شهر أيلول، كنت أمام خيارين: إما اللقاء بمجموعة شباب فاعلين في المقاطعة، أو الذهاب للمسجد وحضور صلاة الجمعة.

وبما أن أن معظم الأصدقاء هم من الطائفة الإسلامية السنيّة، ولأن المسجد يشرف عليه السنّة، فقد شعرت بأهمية مرافقة من ذهب إلى المسجد كي لا يقال بأنني فضّلت عدم الذهاب للمسجد على خلفية مذهبية.

دخلت للمسجد، وشرعت بالوضوء، ثم أخذت مكاناً خلفياً في المسجد، فشمنت رائحة كريهة جداً، فتوقعت أنها من الحمامات وأمكنة الوضوء، لذا غيّرت مكاني، متقدّماً باتجاه المحراب، فوجدت أن الأمر لم يختلف. في هذه الأثناء جاء شخص زنجي، تبيّنت أنه إمام المسجد.

وما إن رأني حتى انكفأ، ولاحظت عليه الخجل، فهو يرى أمامه عالم دين مسلماً، عليه ملامح العرب، وتالياً فإنه قد يُحرج تجاهي في موضوع خطبة الجمعة، التي تُشترط فيها العربية، وهو يتحدث العربية بشكل ضعيف.

وقد تزامن تغيير مكاني، مع مجيء الشيخ ثم هروبه إلى أحد أقسام المسجد، وحين تقدّمت باتجاه المحراب ولم أستفد من خطوتي هذه إذ إن البيّنة لم تتحسن، أقدمت على الخروج من المسجد دون الصلاة فيه، وقد تملكني صِداع شديد وقد تبيّنت لاحقاً أن صديقاً لبيياً، وهو طبيب، قد خرج بدوره من المسجد للسبب عينه، حيث إنه لم يقدر على الصلاة فيه. وسمعته يجاهر بواقع الحال في المسجد، ما شجعتني على تبيين الحقيقة، والكلام عن الواقع.

والمفارقة أنه بمجرد خروج شخص مصري من المسجد، إذا به يخاطب شخصاً، قائلاً: «الله يا محمد، لماذا لم تحضروا إلى المسجد؟ فاتكم نصف عمركم!».

هنا أخذ الليبي يكيل الانتقادات للمصري، ويوبخه، في حين أنني لم أستطع تمالك نفسي، وأخذ الضحك مني مأخذاً عظيماً. لقد دخلت في حياتي عشرات المساجد، ولكن لم أر مسجداً بهذه الحالة، وما يزيد الاستغراب أن هذا المسجد في الولايات المتحدة الأميركية!

قبيل المغادرة

في يومي ما قبل الأخير، في سان فرانسيسكو، أخذ الطقس يتردّي، وبدأ المطر ينهمر، وسمعت، بطريق الصدفة، أن إعصاراً في طريقه إلى ولاية كاليفورنيا،

ما جعلني أستاذ كَثِيراً، فأنا ما زلت في بداية رحلتي، وبداية التعرّف على الطائفة واستخدامها، وما زلت أخاف المغامرة في استعمال هذه الوسيلة، خصوصاً في أيام المطر، سيما أن ما علق في ذهني أن الطائفة الأثيوبية التي تحطمت في لبنان منذ أشهر كانت قد وقعت خلال طقس ماطر وعاصف، ما جعلني أتهيّب السفر خلال مناخ كهذا.

رحت أبحث في التلفاز سعيّاً وراء معرفة أحوال الطقس. ولكن، نتيجة جهلي اللغة الإنكليزية، لم أجد استخدام التلفاز كما يجب.

بعد محاولات عديدة، لاحظت وجود محطة مختصة في مجال الطقس فقط، ولا تعنى بغير هذا الأمر. وقد شاهدت عليها مشاهد مخيفة، من كسر للأشجار، ومن عواصف شديدة، وأمطار غزيرة، وحالات مؤلمة، ما زاد من خوفي وترددي في السفر في اليوم التالي، وبقيت مرتبكاً نتيجة ما رأيت وسمعت... صباح اليوم التالي صادفت الزميلة كريستال الشايب، وتبادلت معها الأحاديث في هذا الجانب، فظهر أن مخاوفها متطابقة مع مخاوفي، وأنها لا تحبذ السفر في ظروف مماثلة.

وبمزيد من التدقيق، وبعدما شاهدت معي كريستال القناة، أعلمتني أن هذه القناة تتحدث عن حالة الطقس في كل الولايات

المتّحدة، وليس في سان فرانسيسكو أو كاليفورنيا فقط، وأن مشاهد الطقس العنيفة هي في ولايات بعيدة.

وظهر أن الإعصار الآتي سيضرب مناطق معينة في ولاية كاليفورنيا وليس كامل الولاية، هذا فضلاً عن أن الإعصار سيشتدّ بعد يوم أو يومين من سفري، لأن الطقس بدأ يسوء، ولكن الإعصار سيأتي بعد فترة. ذهبت للمطار، والخوف يعتريني وإن بحدّة أقل.

وفي لحظات الاستعداد للسفر، أخذت أنظر للمدينة، بأبنيتها وشوارعها، وحجرها وبشرها، وشجرها ومعالمها، ووسائل النقل فيها، ومطاعمها، وفنادقها ومؤسساتها...، أنظر إلى كل ذلك نظرة مودّع لن يعود فيما بقي من عمره إلى هذه البقعة من الكرة الأرضية، مع ما في ذلك من الألم والحرقه.

خرجت من سان فرانسيسكو قالباً لا قلباً، حيث إنني لا أنسى البحر وجزيرة ألكاتراز التي كانت في السابق سجناً، وفي عهد الرئيس بيل كلنتون تم تحويلها إلى مركز اجتماعي.

مناظر جميلة جداً على مقربة من الشاطئ، بيوت مميزة، نمط عيشة رائعة، السائحون كثر، الحدائق العامة منتشرة، مرافق سياحية مذهلة، مدينة إيطالية، وأخرى صينية، وهكذا.

ولا يغيب عن بالي زيارتي لشارع لوبارد الذي هو أطول شارع متعرج في العالم.

في صباح يوم ٥ أيلول، بدأت أستعدّ لمغادرة سان فرانسيسكو، وعند الظهر غادرتها متوجّهاً إلى ولاية ميسوري، عبر محطة في مطار دالاس/ ولاية تكساس. استغرقت الرحلة ساعة ونصف ساعة تقريباً، من دالاس إلى مقاطعة كانساس سيتي في ولاية ميسوري.

انتقلت من المطار إلى الفندق مباشرة، حيث وصلت قرابة التاسعة مساءً، كون الوقت، كما مر، يختلف من ولاية لأخرى. فالوقت في كانساس متقدّم عن الوقت في سان فرانسيسكو، ولذا فلم أعمد لأي نشاط سوى لجوئي لغرفتي في فندق Sheraton Suites الواقعة في الطابق الثاني عشر، ورقمها ١٢٠٨، وكنت أحبّذ السكن في الطوابق السفلى، ولكنّ نصيبي كان هذا، ما شكّل لي هاجساً على الدوام. أمضيت الليلة الأولى في القراءة والكتابة، وفي تأمل هذه المنطقة المميزة، الهادئة، الوداعة، الجميلة، التي أعجبتني بهدوئها أكثر من واشنطن، وكانت محطة جميلة للراحة والهدوء بعد ضجيج سان فرانسيسكو.

عيد العمال

خلال وجودي في كانساس، صادف عيد العمال، يوم الاثنين في ٦ أيلول، الذي تحتفل به الولايات المتحدة الأميركية، في أول إثنين من شهر أيلول في كل عام، ويتمّ التعطيل فيه رسمياً.

ولإحياء هذا اليوم، هناك مراسم معيّنة، إذ يخرج كل العمال وأصحاب المصالح إلى الطرقات ويستعرضون أحدث منتجاتهم، فيشكلون مسيرات، كل حسب مهنته، فمن يعمل في تصنيع السيارات يخرج أحدث سيارة لديه ليعرضها على الناس، وكذلك من يصنّع القطع الإلكترونية، أو الحلوى، أو القرطاسية...

وقد قدّموا هدايا لجميع المواطنين، نالني منها صحن يستعمل للألعاب الرياضية، وهي لعبة مشهورة في الولايات المتحدة، لا تستهلك المال، ولا تعرض لاعبيها لأي خطر جسدي. كما وأخذت قلم رصاص وبعض الحلويات وقطعة قماش توضع على كوب المشروبات الساخنة... وهي هدايا صغيرة، غير مكلفة مالياً، ولا أستعملها كثيراً، ولكنني أحببت أخذها للذكرى، إذ إنني لن أكرر هذه الزيارة، لعدم وجود أقارب لي هنا، ولعدم وجود مصلحة أو داع لذلك.

رعاية النساء المعنفات

بعدما تابعت فعاليات عيد العمّال، ذهبت إلى مركز يهتمّ بالنساء المعنفات، اسمه Rose Brooks وهو مركز حديث ومجهز وكبير، يعنى باستقبال هؤلاء النساء، اللواتي يحتجن لرعاية، ولفترة راحة، حتى تستقيم أمورهنّ، أو اللواتي يردن التخلّص من الظلم الذي يعانينه من أزواجهنّ.

وقد وجّهت سؤالاً لمديرة المركز عن عدد النساء اللواتي يتردّدن على المركز، فقالت لي إن نسبتهنّ مرتفعة، حيث إن نسبة المعنفات على مستوى أميركا ككل تبلغ واحدة من أربع.

اندهشت كثيراً من هذه النسبة، وقلت لبعض الحاضرين إن من ضمن مهمّتي في لبنان قضية العلاقات الأسرية، وشؤون الزواج والطلاق، ما يعني أنني مطّلع على تفاصيل الحياة الزوجية. ومع ذلك فلا أتصوّر أن الحالات المشابهة في لبنان تصل إلى هذه النسبة، وإن كنت لا أعرف نسبة المعنفات في لبنان، ولا أملك رقماً في هذا الصدد. وتابعت مماًزحاً إحدى اللبنانيات: «عجيب، المرأة في بعلبك تنعم بالوداعة أكثر من أميركا».

ولدى اكتشافني شوارع خاصة بالمتليين في سان فرانسيسكو، خطر ببالي سؤال: من هو المعنف، هل هو رجل دائماً؟ فأجابت مديرة المركز بأن ربع المعنفين هم من الإناث،

وثلاثة أرباع المعنفين ذكور، ممّا يظهر أن هذا المركز تقصده نساء سحاقيات يعانين من صديقاتهنّ النساء، ويتعرضن من قبلهن للضرب والتعنيف.

كذلك أبلغتني عن حالات تلجأ فيها المرأة إلى تعنيف الرجل، وضربه، مما يضطره لمغادرة المنزل، ولكنّ هذا المركز لا يستقبل الذكور، بل إن دخول الذكور إليه محظّر.

وقد يعتبر البعض أن العنف في أميركا أخفّ وطأة ولكن الأمر، حسبما اطلعت عليه من هذا المركز، ليس كذلك، حيث إن المركز على تواصل دائم مع القوى الأمنية لأن العديد من الذكور يتعاطون بطريقة إجرامية في بعض الأحيان، وبعضهم يتهجم على المركز، سيما من يتعاطون المخدرات والممنوعات.

وبمجرّد دخولي لهذا المركز تبادلنا لذهني مركز مماثل له في الأهداف، في لبنان، في منطقة بلونة، هو «جماعة مريم ومرتا» وهذا هو أحد المراكز القليلة التي تعنى برعاية المرأة المعنّفة في لبنان، وأنا أزور هذا المركز بشكل مكثّف لارتباطي معهم بقضايا ثقافية وفكرية، ولكن هذا المركز لم يستقبل، ولو لمرة واحدة، أكثر من عشرين امرأة، وطبعاً هذا لا يعود لعدم وجود معنّفات، بل لعدم دخول مراكز كهذه في مفاهيمنا الاجتماعية اللبنانية، التي

ترفض خروج الزوجة من منزلها، ولو في ظروف عنفية.

من كانساس إلى لبنان

قبيل مغادرتي كاليفورنيا، أُجريتُ ثلاثة اتصالات هاتفية إلى لبنان، بزوجتي وبالشيخ أحمد طالب، وبالصديق لتمان سليم. وقد علمتُ بوجود مستجد في قضية معينة. فتفاعلت، وكتبت مقالاً وأنا في الطائرة متوجهاً إلى كانساس، وبمجرد وصولي إلى الفندق أعدتُ النظر بالنص، ونسخته بخط واضح، وفي يوم ٦ أيلول، (اليوم التالي لوصولي)، أرسلت المقالة من الشيراتون إلى إحدى الدوريات اللبنانية. ما أردتُ التعبير عنه هو أنني، وإن كنت في هذه البقعة البعيدة عن وطني، وإن كنتُ أعيش أياماً مرحة، وهادئة وبعيدة عن الصخب والضغط، فإنني كنت دائماً التفكير بوطني وأهلي وأصدقائي.

الإفطار لدى عائلة باكستانية

أكثر ما أعجبنى في زيارة ولاية ميسوري هو تعرفي على عائلة باكستانية، مؤمنة متديّنة. رغم وجودهم منذ سنوات في أميركا، فهم يحافظون على لغتهم فضلاً عن إجادتهم الإنكليزية أيضاً، ومحاولتهم تعلّم اللغة العربية، لغة القرآن والإسلام. دعيتي هذه العائلة الباكستانية المسلمة

لتناول طعام الإفطار لديها، لبّيت الدعوة، وكانت تلك هي الوجبة الثانية التي أتذّ فيها بشكل كبير في أميركا، بعد المطعم الإيراني في سان فرانسيسكو.

خلال الإفطار وما تلاه من سهرة عامرة بكل خير، طلبوا مني تلاوة القرآن، وقراءة الأدعية، والتحدّث بموعظة دينية، فقد كان من دواعي سرورهم رؤية عالم ديني في منزلهم.

ولأنسى أن طعامهم كان حاراً كثيراً، فهم معروفون بشغفهم بالتوابل، وأنهم يكثرون من تناولها، والأهمّ من ذلك أن تناول الطعام لديهم جعلني مرتاحاً لمصدره، وأنه من مورد شرعي لا إشكال فيه.

في اليوم التالي أصرتُ العائلة على دعوتي لتناول الطعام في أحد المطاعم، فاعتذرت عن ذلك. ثم وجهوا لي دعوة للسهر في مقهى عربي، يرتاده العرب، لا توجد فيه مشروبات روحية، ويملكه شخص فلسطيني، ومع ذلك لم أتجاوب مع الدعوة.

ولكنني فوجئتُ بوجودهم في باحة الفندق، وقد أتوا لأصطحابي. هنا استخرت الله على الموافقة، فكانت الخيرة جيّدة، فوافقت على ذلك، وذهبت معهم في سهرة، لعلها من أجمل الأوقات التي أمضيتها في حياتي. وهنا عرفتُ سبب كون الخيرة جيّدة، على اعتبار أنني قلّما أفرغ نفسي لتظير هذه السهرة، التي كانت أنيسة.

جمعية بيئية

لقد أتاحت لي الفرصة أن ألتقي بجمعية تهدف للمحافظة على البيئة، فاطلعت على المعلومات الخطيرة التي قدّموها في مجال التلوّث البيئي، وما ينتظر البشرية من كوارث نتيجة إمعان البشر في قضايا التلوّث، ونتيجة الذوبان الجليدي الذي سيغيّر حرارة الأرض خلال سنوات قليلة مقبلة، وانعكاس ذلك على الكرة الأرضية.

وعلمت أن نشاطهم يهدف للحدّ من استعمال الأوعية البلاستيكية، من أكواب للماء وصحون للطعام وملاعق... بما يؤدّي للحدّ من تصنيع هذه الأشياء، وتالياً فإن هذا الأمر يساهم في الحدّ من التلوّث.

إضافة لذلك، تشجّع الجمعية على استعمال مكاتب وكراس وأثاث مكتبي ومنزلي خلو من المواد التي تضرّ بالبيئة.

كما انتقدت هذه الجمعية بيع مياه الشرب بالقبينة البلاستيكية المعروفة، وقالوا إن المياه التي تصل إلى البيوت هي مياه صالحة للشرب، وبالتالي فلا داعي لشرائها، وتالياً رمي أعداد كبيرة في النفايات يومياً من القناني.

خارج محيطها. فهي ليست كواشنطن أو نيويورك أو حتى كاليفورنيا.

فيها مسلمون، ومساجد، وعرب، وباكستانيون... الطيبة والبساطة هما ديدن السكان. قلّما تجد مشاكل، ولا تسمع عن حوادث أمنية، أو قضايا مخالفة للنظام العامّ بشكل ملفت. حتى الشذوذ الجنسي الذي ينتشر في ولايات أخرى هو أقلّ منه هنا في كانساس.

أيّام قليلة قضيتها في كانساس؛ في شوارعها، في بيوتها، في مراكزها الثقافية والاجتماعية... ما جعلني أعشقها، بسبب هدوئها، وطيبة شعبها، ولجمال السكن فيها.

ودّعتُ كانساس كأنني أودّع عزيزاً على قلبي، أو أفارق قريباً، كأنني أخسر شيئاً، ليس ذلك إلا لأنني ارتحت نفسياً بين أهلها، وفي مناطقها، وفي مناخها.

وحتى في الفندق الذي نزلت فيه كنت مرتاحاً كثيراً، لوجود مسبح، ومكان للجاكوزي، وقد قصدتها أكثر من مرّة، حينما كانت تسنح لي الفرصة.

١١ أيلول: الذكرى...

والهاجس...

قبيل السفر إلى نيويورك أخذ عدد من الإخوة التحدّث عن المحطة التالية في الرحلة - خصوصاً من لهم سابق عهد

نيويورك

خاتمة

كانساس سيتي مقاطعة في وسط الولايات المتّحدة، يعيش سكّانها بشكل هادئ، قلّما يأتي زوّار من خارج الولايات المتّحدة إليها، حتى أن زوّارها من الأميركيين قليلون من

بنويورك - فحدّثونا عن طبيعة هذه الولاية، وعن ميزاتها وخصوصيّاتها، وتمّ الوقوف كثيراً عند الجرح الذي أصابها في ١١ أيلول... حتى أن أكثر من شخص طلب منّي عدم ارتداء زيّ الديني، كي لا أصاب بأيّ أذى، وقد أخذ هذا الموضوع حيّزاً كبيراً من النقاش في ولاية ميسوري.

وفي هذه الأثناء شعرت بانزعاج كبير، أحسست أنني أتحمّل شخصياً أخطاء بعض المسلمين. تمّيت لو أنني لم أت إلى هذه البلاد، وقد ازداد أسفي وحزني في نيويورك، حيث شاهدت على التلفاز عائلات الضحايا وهم يبكون من افتقدوهم في أحداث ١١ أيلول. شاهدت عدّة نساء يعتلين المنبر، يتحدّثن منفعلات، والحزن بادٍ على وجوههن، والبكاء غالب عليهنّ، لم أكن أفهم ما يقُلنه؛ ولكنني كوّنت فكرة عامة عن نمط إحياء هذه الذكرى، وتالياً شعرت - انطلاقاً من نفس إنسانية - بحجم الظلم الذي لحق بهذه العائلات جرّاء تطرّف بعض المسلمين.

قبل دخولي إلى نيويورك كنت مرتبكاً، لا أعرف كيف سأمضي أياماً في هذه المنطقة، أحاول أن أمّررها بأقلّ خسائر ممكنة؛ ولكن تجربة أيام في هذه المنطقة أظهرت عدم وجود أي ردّة فعل سلبية تجاهي، خصوصاً أنني لم أهدأ على مدار

أكثر من أربعة أيام، في هذه الولاية التي لا تعرف السكون.

مررت بصحبة عدد من الأصدقاء قرب مبنى التجارة العالمي، الذي أضحي يسمّى «نقطة الصفر» وكان بصحبتني بعض الأخوات المحجبات (وعدهنّ ستّ)، ومع ذلك لم توجّه إلينا أيّة ملاحظة، ولا حتى أيّة نظرة غير طبيعية، رغم أنني كنت بزّي الديني الكامل.

بل أكثر من ذلك، فحينما كنت في مكان يطلّ على تمثال الحرية، الذي يفصل بينه وبين برج التجارة، إذا بامرأة أميركية تراني واقفاً وفتاة عراقية تصوّرنني، فتطلب السيدة الأميركية من الفتاة العراقية الوقوف بجانبني لتلتقط لنا صورة مشتركة. والشيء نفسه فعله رجل أميركي في مكان قريب من مركز التجارة العالمي... وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على لطافة هذا الشعب، وإحساسه المرهف.

وحتى أنني حينما تطوّعت في سان فرانسيسكو، كان دافعي في هذا الأمر هو إظهار جانب آخر في شخصية المسلمين، من محبّة الناس، وخدمتهم، والتعاطي بطريقة فيها شيء من الرحمة والألفة، رداً على الصورة التي أعطاهها بعض المسلمين، التي تظهر الإسلام بأنه كله قساوة وتكفير وتفجير وقتل، وغير

ذلك من الأمور البعيدة عن روح الدين الإسلامي.

•

من كانساس سيتي إلى نيويورك. وصلت بعد الظهر، وتوجهنا مباشرة إلى فندق Club Quarters وكان نصيبي السكن في الطابق السابع عشر، في الغرفة رقم ١٧٠١، نظير رقم القرار الدولي الذي صدر بشأن لبنان بعد حرب ٢٠٠٦، وقد أمضيت كامل فترة الإقامة وأنا متوتر من العلو، فكيف بمن انتابه الرعب من الطابق العاشر مثلاً، أن يقيم في الطابق السابع عشر؟

الانطباع الذي خرجتُ به عن نيويورك أنها بلد حيوي بامتياز، يزورها يومياً أربعة ملايين من الخارج، وفيها من السكان ثلاثة ملايين، فيكون فيها يومياً سبعة ملايين، ولكن ليلاً يبقى ثلاثة ملايين، ويخرج منها من يعمل فيها، لأن تكلفة السكن مرتفعة فيها.

وفي نيويورك ازدحام كبير، الغرباء أكثر، وهي لا تعرف الهدوء، ولا تميز بين الليل والنهار، ولا أحد يعرف أحداً. نيويورك تنقسم إلى خمسة أقسام: مانهاتن، كوينز، بروكلين، البرونكس، ريتسموند. وقد زرت المناطق الثلاث الأولى.

في نيويورك مقر الأمم المتحدة، وفيها أهم المراكز التجارية العالمية، تكثر فيها ناطحات السحاب.

وليد المصري

أول من تعرفتُ إليه في نيويورك شاب مصري اسمه وليد، لديه كشك لبيع المأكولات. ولأنه يتقن العربية، فكنت أتردد عليه بشكل مستمر.

أبلغني أنه قدِمَ إلى أميركا منذ عام تقريباً، وهو بصدد العودة إلى وطنه للزواج ثم المجيء إلى أميركا، حيث يؤمن له الكشك مدخولاً شهرياً بمعدل خمسة آلاف دولار أميركي، وطبعاً هذا المبلغ، بالنسبة لمصري، كبير جداً جداً.

كما أن وليد يدفع ضريبة للبلدية مقابل ركن الكشك تبلغ ١٥ ألف دولار سنوياً. كذلك فإن الدولة تفرض على كل صاحب كشك أن يُلزمه لشركة تنظيفه يومياً. فتأتي الشركة وتأخذ الكشك، فتتنظفه بمواصفات معينة، ثم ترجعه في صباح اليوم التالي.

كنت أتردد على وليد لأتناول الفلافل لأنها خالية من اللحوم التي لا أعرف مصدرها، محاولةً مني للتغيير عن البيتزا، وإن كان وليد يبيع أصنافاً فيها لحوم، وأبلغني أنها شرعية، ولكنني لم أطمئن لذلك.

لذا اقتصررت على أكل الفلافل عنده، وقد استغربت حينما قال لي بأنه سيضع أرزاً في سندويش الفلافل! فلا أتصور أن هذا الخلط يزيد في طيبة نكهة الطعام، بل على العكس من ذلك، فقد عرفت أن أشخاصاً يأكلون الفلافل مع الأرز، ولعلهم من المصريين.

١١ أيلول

في هذا اليوم قمتُ بجولة في عدد من أنحاء نيويورك، شاهدتُ مكان مبنى التجارة العالمي الذي حصل فيه اعتداء ١١ أيلول، كما ذهبت إلى تمثال الحرية، وإلى عدد من معالم هذه المدينة العامرة.

وما لفتني وجود نهر مصطنع في إحدى المناطق، وعلى جانبه حديقة تحوي على مزروعات ليست من أصل أميركي، بل أفريقي وآسيوي. وما يزيد في الإعجاب بالأميركيين أنهم إذا لم يكن لديهم نوع معين من الزهور أو الأشجار أو الفواكه أو ما شاكل، فإنهم يستقدمون ذلك من أماكن أخرى. وفي المكان الذي لا يوجد فيه نهر طبيعي، ويستحسن وجوده، فإنهم يستحدثونه، وهكذا...

في ذلك اليوم، في الفترة المسائية، ذهبت مع بعض الأصدقاء لمتابعة استكشاف المدينة، فمررنا في ميدان سكوير، ووجدنا أناساً من كل الأجناس والألوان والمناطق والأديان. رأيت أفراداً من أتباع فرقة دينية يلبسون لباساً قديماً جداً، على غرار الإنسان القديم الذي كان يعيش قبل الوصول لنسج الثياب بشكل مقبول. فيتكوّنون على أغصان من الشجر، ويلبسون قطعاً غير متناسقة من الجلد تغطي بعض أجسامهم فقط، ويضعون الخناجر على جنوبهم وهم أصحاب بشرة سمراء.

كان هدفهم أن يقولوا للناس بأن أصل البشرية كلها من اللون الأسود؛ النبي آدم، والنبي إبراهيم، والنبي موسى، والنبي عيسى، والنبي محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) وكذا بقية الأنبياء. وتجد في هذا الميدان رياضيين وراقصين وأولاداً يلعبون بأشكال مختلفة، وتجد شاشة كبيرة تبتّ بشكل مباشر ما يجري في هذا الميدان، ويشاهد الواقف نفسه مباشرة على التلفاز.

دخلت إلى مكان لبيع الألعاب للأطفال، وهو عبارة عن مبنى كامل لكل أنواع الألعاب الحديثة، اختراعات مذهلة، وإبداعات ملفتة، وتمنيت لو أن ولدي برفقتي لأدخلته إلى هذه المدينة العظيمة، ولكن اشترت له أموراً صغيرة لا تأخذ حيزاً كبيراً، كوني على موعد مع عدة سفرات قادمة، وتقلات كثيرة، ولا أرغب في اصطحاب الأغراض.

اللوحات الجدارية

تسّنت لي فرصة للتعرف على مجموعة تعنى بالرسم على الجدران، يطلقون على أنفسهم اسم «مشروع اللوحات الجدارية لمجتمع جراوندزويل»، إذ إنهم يهدفون لمخاطبة بعض الشرائح الاجتماعية، بطريقة الرسم على الجدران. وممّا لاحظته في إحدى هذه اللوحات رسم لمجموعة أشخاص بيض وسود، وكان راسمها يريد توجيه المجتمع

لمزيد من الانصهار بين البيض والسود، ويريد الإضاءة على الجانب الإنساني في هذه الصور، رفضاً للتمييز على هذا المستوى.

رسم آخر يدعو لعدم الإسراف في استعمال المياه، ورسم ثالث لتبيان أهمية الترابط الأسري، بين الآباء والأبناء وهكذا.

هنا ترى مجتمعا لا يستعمل أسلوباً واحداً جافاً في توجيه الإرشادات والرسائل للناس، بل يبدعون طرقاً وأساليب تفيد شرائح دون أخرى، ولكن لكل شريحة أسلوبها.

ذكرت هذه اللوحات علنا نبتكر وسائل جديدة في مخاطبة كل الناس، بكل مستوياتهم.

إيلي شربل

خلال وجودي في نيويورك تعرّفت إلى أبي مارون، إيلي شربل، وهو لبناني من مزرعة الشوف، يسكن أميركا منذ ١٩٨٧ وذلك عبر صديقة.

جاء أبو مارون إلى مكان إقامتي في بروكلن، واصطحبنا معه إلى منزله الواقع في مانهاتن، فتعرفت على عائلته، المؤلفة منه ومن زوجته وابنه مارون وابنته.

هذه العائلة تعيش في أميركا قلباً لا قلباً، أما قلباً فهي في لبنان، عندما تتحدّث إليهم تشعر أنهم يقطنون في الأشرافية أو

فردان، ولا تشعر أنهم في نيويورك؛ وما يعرفونه عن بيروت وزواربيها، أكثر ممّا يعرفونه عن أحياء مانهاتن.

في المنزل أعلام لبنانية، التلفزيون لا يعرف سوى القنوات الفضائية اللبنانية، وحتى أنواع المأكولات كلّها من الأصناف اللبنانية والمخاطبة بينهم باللغة العربية، وهكذا كل شيء، حتى النقاشات تدور حول الشأن اللبناني الداخلي بكل تفاصيله. وعندما تتحدّث إلى أبي مارون تشعر وكأنه لم يغادر لبنان للحظة.

أبو مارون يعيش أزمة مع عائلته، حيث إن كل أسرته تحبّذ العودة للسكن في وطنهم لبنان، ولكنه هو يفضل البقاء في أميركا، لدواعٍ تتعلق بالعمل، حتى أنه في إحدى المرّات جاء لزيارة لبنان مع عائلته، وعندما أراد العودة إلى أميركا رفضت أسرته ذلك، ولم تقبل العودة معه إلى أميركا، ولكنه عاد وأقنعهم بذلك، ولكن بعد أن وعدهم بدراسة الانتقال نهائياً إلى لبنان بعد ترتيب الأمور.

يعيش أبو مارون الذاكرة السيئة للبنان في حربه الداخلية، حيث إنه ما زال يخاف من مستقبل لبنان، خصوصاً مع وجود أرباب الميليشيات في مواقع أساسية في السلطة اللبنانية. كما يظهر ميل إيلي لنتيّر الإصلاح والتغيير.

أخيراً

لم أحبّ نيويورك، ولم تجذبني، ولكنها أدهشتني، بنظامها، بناطحات السحاب، بزوارها الذين يبلغون الملايين يومياً، بمؤسّساتها الاقتصادية، ومراكزها السياسية، وبمجمال حراكها.

طبعاً، في نيويورك عدّة مساجد، وفيها مؤسّسة الإمام الخوئي^(قده) في منطقة كوينز، على ما أتصوّر، وهناك مساجد لإخواننا السنّة في أكثر من مكان.

يوم عيد الفطر شهدته في نيويورك، المصلون يبلغون عدّة آلاف في مسجد واحد.

في صباح ١٢ أيلول أخذت أحضّر نفسي للسفر، وكان الطقس، قبل يوم، قد ساء، على غرار ما حصل معي في كاليفورنيا، ولكن الفارق أنني سأسافر هذه المرة عبر البرّ من نيويورك إلى واشنطن، وهذا السفر سيستغرق أربع ساعات فقط. وطبعاً، استثمرت السفر برّاً، فنزلنا في إحدى الولايات، وتبصّعنا وأكلنا، ثم أكملنا السفر إلى واشنطن التي وصلتها بعد ظهر ذلك اليوم.

وصلت إلى واشنطن، وكان الطقس

جميلاً جداً، بخلاف الطقس في صبيحة ذلك اليوم في نيويورك. نزلت في فندق Washington Marriott في الطابق السادس، رقم الغرفة ٦٧٨؛ نصيبي هنا كان جيداً، من ناحية علوّ الطابق، ولكن كنت أنزعج كثيراً من بُعد غرفتي عن باب المصعد الكهربائي، فبين باب المصعد وغرفتي ما يقرب من ١٢٠ خطوة.

بعد عودتي إلى واشنطن شعرت أنني أت إلى مكان مختلف عن الذي كنت فيه قبل أسبوعين، حيث إنني غادرت واشنطن في ١ أيلول، ثم عدت إليها في ١٢ منه.

شعرت أنني في مكان آخر، وفي بيئة أخرى... لا أعرف السبب، لكنني أعرف أن كل ما شاهدته سابقاً، اختلف لاحقاً.

انتخابات ميريلاند

في اليوم التالي، في ١٤ أيلول، وأثناء وجودي في واشنطن، جارة ولاية ميريلاند، صادف وجود انتخابات في ولاية ميريلاند. وقد شاهدت مراكز اقتراع في مدارس وكنائس، وفي أحياء غنية، وأخرى فقيرة.

خلال وجودي على مقربة من مركز اقتراع، جاءني أحد المرشّحين، وقف وتحدّث معي، وطلب منّي أن أدعو الله لكي يوفّقه في الانتخابات، ما ترك في نفسي أثراً جميلاً،

كيف أن هذا المرشح الذي هو من دين مختلف، تراه يطلب من عالم دين مسلم

واشنطن دي سي، ثانية

الدعاء له بالتوفيق، وقد عرفت لاحقاً أنه بالفعل فاز في الانتخابات.

إطلعت على تقنيات الاقتراع التي تحصل عبر الكمبيوتر لمن يعرف، وإلا فبالوسائل الورقية. شاهدت كيفية انتخاب المقعدين، وكيف أن الدولة تؤمن لهم الوصول بشكل ينم عن الاحترام الكامل لهم كبشر، وعرفت أنهم، في الولايات المتحدة الأمريكية، توصلوا لاعتماد الانتخاب عبر البريد، وبعض الولايات عبر البريد الإلكتروني، في خطوة لجعله على امتداد ولايات أميركا.

الفتاة السمراء

خلال وجودي قرب مركز اقتراع، مع عدد من الأصدقاء، إذا فتاة سمراء تقترب مني وتتحدث معي، دون الأصدقاء، فلم أفهم منها شيئاً. اتجه إليها أحد الأصدقاء. حادثها، وأنا لا أفهم ما الأمر، ولكن شعرت أن هذه الفتاة انزعجت كثيراً، وبعدها مشينا، أبلغني أنها تسأل عن مدة إقامتي في المنطقة، وأنها تودّ زيارتي في مكان إقامتي، والتعرّف عليّ.

تفاجأت كثيراً، كوني عالم دين مسلماً، وأرتدي الزيّ الديني، وهذه فتاة في الثلاثين من عمرها، والمفترض أنها تعرف أنني عالم دين، وبمزيد من التدقيق في الأمر علمت أنها ومثيلاتها لا يعرفن معنى ارتدائي لهذا الزيّ، كما لا يعنيهنّ

معتقد الطرف المقابل، ولا يفكرن بقضايا الدين إطلاقاً، حتى أنهنّ لا يقفن كثيراً عند نمط اللباس الذي ارتديه، أو أي زيّ يرتديه أي شخص آخر.

الدكتور لوبين

في ١٤ أيلول التقيت بالدكتور لوبين، رئيس بلدية قرية تشيفي تشيز الواقعة في ولاية ميريلاوند، حيث اصطحبني معه لزيارة مركز اقتراع واقع في مدرسة ابتدائية. لاحظت قلة عدد المقترعين بشكل ملفت، ما حدا بي لسؤال الدكتور عن السبب، فقال إن في الولايات المتحدة الأمريكية انتخابات بمعدل استحقاق انتخابي كل أسبوعين، ما يجعل المواطن الأميركي يصيبه الملل من تكرار الاستحقاقات الانتخابية.

ثم نشأ لديّ سؤال عن ماهية هذه الانتخابات التي تحصل كل أسبوعين. سألته: أي انتخابات؟ فقال: إنها الانتخابات الرئاسية وانتخابات أعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ، وانتخابات للولاية، وأخرى للمقاطعة، وغيرها للبلدية، إضافة لانتخاب المجالس التربوية في المقاطعات، وهذه المجالس هي التي تدير السياسة التربوية في المقاطعة. والانتخابات النصفية، وانتخابات الحزب الجمهوري، والحزب الديمقراطي... وهكذا.

عشاء في منزل أميركي

في يوم ١٥ أيلول لبيت دعوة الدكتورة ساندي باركان، (مديرة مركز ميريديان الدولي)، في منزلها في واشنطن دي سي، وبحضور زوجها، وبولا (لبنانية) وهيا وإيمان (سعوديتان) ونغم (فلسطينية).

وقد راعت الدكتورة ساندي خصوصية أكلنا كمسلمين، لذا انتخبنا مأكولات تناسبنا، وكانت سهرة أنيسة في بيتها الجميل والهادئ، والذي يقع في منطقة راقية يسودها السكون، حتى إنك لساعات لا تلمح سيارة تمرّ.

ومن محاسن هذه السهرة، تعرّفي إلى زوج ساندي، وهو أستاذ جامعي قدير، متخصص في عالم الحقوق والسياسة، ويملك ذهنية مرنة وجيدة، لبق كثيراً، وشعرت أنه سرّ لتعرّفه إليّ.

عقب الانتهاء من السهرة، أردنا أخذ سيارة أجرة لإيصالنا، ولكن الأمر صعب للغاية في هذا الشارع الساكن، لذا سرنا مسافة طويلة، وقد أصرت ساندي على مرافقتنا في السير، رغم طول المسافة، حتى وصلنا لمكان تمرّ فيه السيارات.

لقمان سليم يصل إلى واشنطن

في يوم ١٦ أيلول وصل لقمان سليم إلى واشنطن، فالتقينا، وتمشينا مسافة لا بأس بها، ثم تناولنا طعام العشاء، وخلال ذلك

تباحثنا بالشؤون اللبنانية، والمستجدات السياسية، حيث إنني منقطع عن بلدي منذ عشرين يوماً.

جاءت زيارة لقمان أميركا لتخفف عني حالة الانزعاج التي عشتها بسبب طول الإقامة بعيداً عن وطني وعائلتي وأصدقائي... وبلقائه أحسست كأن نصف عودتي للبنان قد تحقّق، حيث هدأت أعصابي، وخف توتّري. فأنا لم أعتدّ على الغياب، ولا أحب ترك العائلة، كما لا أحبّ التوقّف عن النشاط الذي أفتته في الاحتكاك بالناس، وبمهامي الدينية، وسوى ذلك.

كنت أسافر من لبنان إلى سوريا في بعض الأحيان، وأعود في اليوم نفسه، ذلك أنني لا أحبّ الإطالة في الغياب عن بيتي، والشيء نفسه كنت أفعله عند سفري إلى الجنوب اللبناني، أو إلى بعض المناطق اللبنانية الأخرى.

وفي اليوم التالي، سهرت مع لقمان، ومحمّد، وهو صحافي موريتاني، وأمنة، وهي صحافية تونسية، وأمّ كلثوم، وهي ناشطة اجتماعية يمنية، ونغم، وهي طالبة جامعية فلسطينية، وتباحثنا في شؤون عربية، ودولية، وكل منا أطلع الآخر على صورة الوضع في بلده، كما أثار البعض الهواجس التي تعترضهم في بلادهم.

في الثامن عشر من أيلول، غادرت ولقمان سليم واشنطن إلى ولاية ميتشغن، وتحديدًا إلى مقاطعة ديربورن، حيث كان في استقبالنا ثلاثة من أبناء الجالية الإسلامية، وذلك بطلب من العلامة الشيخ عبد اللطيف برّي، إمام المجمع الإسلامي الثقافي، وكانوا يحملون لوحة كتب عليها اسمانا، كونهم لا يعرفوننا شخصياً، وما كدنا نخرج من الطائرة حتى رأينا الإخوة في انتظارنا، فأخذوا أغراضنا وأوصلونا إلى مكان الإقامة في فندق «حياة ريجنسي» كانت غرفنا في الطابق السادس، وكان رقم غرفتي ٦٥٦.

بعدما ارتحنا قليلاً خرجت مع لقمان في جولة صغيرة في المدينة، ودخلنا إلى مطعم يقدم الوجبات اللبنانية، فتناولنا طعام الغداء سوياً، ورجعنا إلى الفندق، بعدما أخذنا فكرة أولية عن طبيعة المدينة، وأماكن تواجد المسلمين فيها.

بعد الغروب، زرنا الشيخ عبد اللطيف في مكتبه في المجمع الإسلامي الثقافي، والتقينا به بحضور نسيب فوّاز وعدد من أعضاء المجمع، وقد دار حديث عن وضع لبنان، وعن وضع الجالية الإسلامية في هذه الولاية، وعموم أميركا.

خلال الجلسة، دعانا الشيخ برّي لحفل

عشاء في اليوم التالي، تكريماً لي وللاستاذ لقمان، وبحضور أئمة الجالية وأعيانها. وقبيل مغادرتنا للمجمع، جال بنا الشيخ برّي في المجمع لإطلاعنا على نشاطه، والمدرسة التابعة له والتي تجاوزه، وطلب الشيخ برّي من مجموعة من مريديه الذهاب بنا في جولة في المدينة، للتعرف على طبيعة عيش المسلمين، وأماكن انتشارهم، وإنجازاتهم التجارية وأسواقهم وبيوتهم، وسواها من الأمور.

خلال الجولة أصرّ الإخوة على دعوتنا لتناول طعام العشاء سوياً في أحد المطاعم اللبنانية، مطعم الأمانة، ولكن صديقي لقمان رفض الدعوة محبباً الاستمرار بالجولة. وبالمحصلة نزلنا إلى المطعم المذكور حيث قدّمت لنا جملة أصناف كلّها لبنانية، من الكبّة النية، إلى اللبنة، والزيتون، والسلطة، والبطاطا المقلية، وحتى الخبز اللبناني الصغير. ما يجعلك تشعر أنك في مطعم في بيروت، دون أيّ فارق.

بعد تناول العشاء رجعنا إلى الفندق لنختم اليوم الأول في ديربورن.

بمجرد دخولي إلى غرفتي، إذا بهاتفها يرنّ، وإذ بشخص صاحب صوت جهوري يتحدث معي، وكأنه يعرفني منذ سنين وقد تركني منذ لحظات، ليلقي عليّ التحية، ويسألني عن فترة إقامتي، وعن تاريخ مجيئي، وغير

ذلك من الخصوصيات. تقاجأت من هذا المتحدث الذي لم يعرف عن نفسه، والذي سمح لنفسه بالاسترسال في الكلام، فما كان منّي إلا أن تحدّثت معه بطريقة فيها شيء من الاستنكار وبشكل رسمي للغاية، في الوقت الذي كان يتحدث فيه بودّ فردّ عليّ: «شيخ ليش معصّب، على مهلك عليّ شوي، معك الشيخ قاسم بيضون».

هنا رحّبت به، وأدركت أنه قد يكون مشتبهاً بيني وبين بعض الإخوة الذين يتشابهون في الأسماء، وحين أبديت له احتمال كونه يتحدث مع شخص آخر يحمل اسماً مشابهاً، عرف مورد اشتباهه، ولكنه تعاطى معي بمنتهى اللياقة واللطافة، محبباً أن يكون هذا الاتصال الذي وقع بشكل خطأ، سبباً في علاقة مستقبلية، وهذه كانت وجهة نظري أيضاً.

على الحدود الأميركية / الكندية

في الصباح ترافقت مع لقمان لتناول طعام الفطور في الفندق، ثم ذهبنا في جولة ممتعة جداً شملت كامل محيطنا في ديربورن، ومن المناطق التي زرتها النهر الذي يفصل بين أميركا وكندا، حيث تمّتعنا بالمناظر الخلّابة. جلسنا قبالة كندا لبعض الوقت، ثم تابعنا مسيرنا، حتى قادنا السائق - وهو شيعي من جنوب لبنان، يقطن ميتشغن منذ سنين، ولا يرغب بالعودة إلى

لبنان، وهو يحافظ على تقاليده وعاداته ودينه - إلى شركة فورد التي كان لها الفضل الكبير في استقدام الجالية الشيعية في لبنان، إذ إن اللبنانيين كانوا يأتون للعمل في هذه الشركة، وقد أخذت الوفود اللبنانية تهاجر تبعاً لميتشغن، وتحديداً للعمل في شركة فورد.

دخلنا إلى حديقة الشركة التي هي بمنتهى الروعة، فاستحوذ علينا جمالها ورحنا نتمشّي في أرجائها.

دعوة السيد القزويني

بعد الانتهاء من هذه الجولة عدنا إلى الفندق، حيث وجدت رسائل صوتية على هاتف الغرفة من قبل الشيخ محمّد دبوق، وهو مرشد ديني في المركز الإسلامي في أميركا، الذي يديره السيد حسن القزويني، وهذا المركز هو الأول للشيعية في أميركا، وقد أسّسه المغفور له الشيخ محمد جواد شرّي (رحمه الله).

ثم عاود الشيخ دبوق الاتصال مجدداً، فتحدّث هو، ثم تحدّث السيد حسن القزويني، اللذان طلبا زيارتنا في الفندق، ولكن لارتباطي بزيارة خالتي بعد فترة، ولارتباط السيد القزويني بجملة مناسبات عزاء في مركزه بعد مواعي مع خالتي، لم يتمّ ترتيب موعد في هذا اليوم. فقلاً إنهما سوف يزوراننا في الغد، لكي يدعوانا

إلى حفل تكريمي لي وللأستاذ سليم. هنا
أبلغتهما أننا ظهر الغد على موعد مع السفر
إلى واشنطن.

وبعد التشاور مع لقمان، قلت لهما: نأتي غداً
لزيارتكم بشكل مختصر ونحن في طريقنا
إلى المطار. وقد كان السيّد القزويني راغباً
بتنظيم دعوة على الفطور على شرفنا،
وهكذا اتفقنا.

زيارة عائلية

بعد الظهر جاء صهر خالتي إلى الفندق،
ليأخذني إلى منزلهم، لكي أزورهم، وتلبية
دعوتهم إلى الغداء.

وصلت إلى منزل خالتي، التي وجدت
منسجمة في الولايات المتحدة الأميركية،
ومرتاحة لطبيعة العيش فيها، ووجدت
ابنتها التي لم أرها منذ عشر سنوات على
الأقل، فأخر مرة التقيتها لم تكن تتجاوز
العشر سنوات، واليوم رأيتها في ميتشغن
متزوجة وأمّاً لطفل.

حينما شاهدت خالتي تأثرت كثيراً، عادت
ذاكرتي مباشرة إلى ما يزيد عن خمسة
وعشرين عاماً، حينما كنت بصحبة والديّ
في زيارة إلى منزلها في منطقة الصنائع
(بيروت)، خلال الحرب اللبنانية اللعينة،
وقد كنت صغيراً، ولكن هذا المشهد لا
أنساه، حيث كنت مسروراً كونني ذهبت
للعب في حديقة الصنائع التي أضحت

تُعرف لاحقاً بحديقة الرئيس رينيه معوض.
وبين والديّ المرحومة، وخالتي أوجه شبه
كبير جداً، بالصوت والصورة والحركات
والأسلوب. وحينما كنت بصدد هذه الزيارة
لم أكن أعلم أنني سأعود أكثر من عشرين
عاماً إلى الورا لاستحضار والديّ، ولكن
لا أعرف ما الذي جرى، خصوصاً أنني
التقيت العديد من المرّات بخالتي ولم
أشعر ما شعرته هذه المرّة.

جلست لدى خالتي فاطمة قرقماز، مدة
ساعتين تقريباً نتبادل أحاديث العائلة
والأقارب، ووضعهم في أميركا، ومدى
ارتياحهم... وقد أخبرتني عن ابنتها
الكبيرة، حنان، الصيدلانية، وعن ابنتها
سارة التي أسلفت الكلام عنها، وتعرفت
إلى زوج سارة، وهو شيعي من بلدة عنقون
في جنوب لبنان، وجاء إلى أميركا منذ فترة
وجيزة، وهو مرتاح للغاية في هذه البلاد.

خالتي امرأة متديّنة، وابنتها متديّتان
أيضاً، وصهرها كذلك، ويعيشون أمورهم
بشكل طبيعي دون أي إرباك. وقد سمعت
منهم انتقاداً للمراكز الإسلامية في
أميركا، وادّعوا أنها تتعامل بشكل مادي
مع الناس، ومع الذين يدرسون في هذه
المؤسّسات، ومع الذين يرتادونها، والذين
يتعاملون معها.

بعد ذلك وضعوا الطعام، وهو من المطبخ
اللبناني، وتضمّن اللحمة المشوية وما

يناسبها، وأمضيت معهم فترة لا بأس بها، ثم ودعتهم وعدت إلى مقرّ الإقامة.

التكريم لدى الشيخ برّي

في الفترة المسائية، كنّا على موعد مع العشاء الذي نظّمه الشيخ عبد اللطيف برّي على شرفنا، فذهبت مع لقمان إلى المجمع الإسلامي، مكان العشاء، حيث كان الشيخ برّي قد دعا وجهاء الجالية وفعاليتها لهذا اللقاء، وقد حضره عدد من علماء الدين (لبنانيين، وعراقيين، وشيخ إيراني)، إضافة إلى بعض الصحفيين ورجال الأعمال وأعضاء المجمع الإسلامي.

بعدما أخذنا قسطنا من المائدة، وقف الشيخ برّي خطيباً، ليضعنا في أجواء وضع الجالية، وليتحدث عن خلفية هذه الدعوة. وقد أثنى على طبيعة النشاط الذي أقوم به في لبنان، وثمّن جهود الأستاذ لقمان سليم، متحدّثاً عنه وعن عائلته وسمعتها الحسنة وخدماتها.

بعد ذلك، تحدّث رجل الأعمال اللبناني نسيب فوّاز، متطرّقاً لموضوع تطوير واقع الطائفة في الولاية، معلناً ما يشبه حلفاً مع الشيخ عبد اللطيف لهذه الغاية.

وهكذا توالى على الكلام كل الحاضرين، ومنهم: الشيخ جاسم الأسدي، الشيخ قاسم بيضون، الشيخ محمّد مال الله، الشيخ صايل الأتات، شيخ إيراني لم أتعرف على

اسمه، وعلّه من آل الأنصاري وآخرون. وحين وصل الأمر إلى الأستاذ لقمان سليم، تحدث عن انطباعاته عن هذه الزيارة، وعن رؤيته لطبيعة العلاقة المفترض أن تكون بين أبناء الجالية والدولة المستضيفة. وقد كان للقمان تساؤل استنكاري، إذ لماذا يأتي اللبنانيون الشيعة إلى أميركا ويصرون على العيش في لبنان لا في أميركا، واعتبر أن الفرصة متاحة لهم ليعيشوا في نظام وبنمط أميز ممّا هم فيه، فلماذا هذا الإصرار على العيش بطريقة مختلفة، كما وجّه سليم شكراً للشيخ برّي على هذه الدعوة.

ثم كانت كلمة لي كرّرت فيها شكر الشيخ برّي على هذه الدعوة، وأبدت إعجابي بعلماء الدين في أميركا، الذين يعملون على المحافظة على هويّة المسلمين الشيعة الدينية.

وعرّجت للحديث عن الشيخ برّي، الذي كان قد طرح مرجعيته قبل فترة وجيزة، فاعتبرت أن جبل عامل كان، على امتداد تاريخه، يزخر بالعلماء والفقهاء، ولا يجوز لهذا الجبل أن يفرط بتاريخه، بل عليه المحافظة على هذا الإرث العظيم.

وتابعت: بعد رحيل الشيخ محمّد تقي الفقيه، والشيخ محمّد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، علينا أن نفتح المجال لكل صاحب طاقة ليعبّر عن طاقته، ولا يجوز قمع الطموحين، خصوصاً أن لدينا

تجربة سيّئة حيال تعاطي الشيعة مع مرجعية السيّد محمد حسين فضل الله، حيث حاربه الكثيرون، ووقفوا في وجهه، وبعد وفاته ظهر كأن شيئاً ممّا كان لم يكن، حيث وقف من كان يحارب السيد ليتقبّل التعازي برحيله. وهكذا، فعلياً أن نترك المجال للشيخ برّي، كي يعبر عمّا لديه، وتالياً ليحاكم على عمله ونشاطه وأدائه، وليس على النوايا، أو انطلاقاً من عقد ينطلق منها الشيعة في مقارنة موضوع المرجعية الدينية الشيعية. عقب ذلك أخذنا صورة تذكارية للحضور، في صالة كبيرة تابعة للمجمع، ثم انفرط عقدنا.

حسينية كربلاء

بعد العشاء توجهت مع لقمان والشيخ هشام الحسيني، وعدد من الإخوة، إلى زيارة حسينية كربلاء، التي يشرف عليها الشيخ الحسيني، وكانت مناسبة عضوية للتعرف على هذا المركز، الذي يمثل عيّنة أخرى عن النشاط الديني في هذه المنطقة. ولعل العراقيين يترددون إلى حسينية كربلاء بشكل رئيسي، وقلماً يتردد اللبنانيون أو سواهم إليها، وهي بخلاف المركز الإسلامي، (الذي يؤمّه السيّد القزويني)، أو المجمع الإسلامي، (الذي يؤمّه الشيخ برّي)، حيث إن الجالية الشيعية بشكل عام تتردد إليهما.

وحسينية كربلاء عبارة عن مكان كان يستعمل كملهى ليلي، حتى وُفق الشيخ الحسيني لشرائه، وتحويله إلى معرض للصور، باسم حسينية، وقد ذكرني هذا المركز بالمنظومة الفكرية التي ينتقد بها المسلمون المسيحيين، في وضعهم للأيقونات، وفي تصويرهم للسيّد المسيح وللسيّدة العذراء مريم، ولآباء الكنيسة فشعرت، وقتذاك، أنني في محضر غير إسلامي، وقد اندهشت من أداء هذا الشيخ الذي لديه شخصية طيّبة، ولكنني طبعاً أخالفه الرأي في الأسلوب الذي يعتمده لتظهير قضايا الدين.

الشيخ الحسيني يتعاون مع شخص لإعداد لوحات ترمز لحوادث دينية وشخصيات رسالية، وحينما رأيت عدد هذه اللوحات الكبير، تألمت للرّسام الذي يتعب بها، خصوصاً أنه يعمل في مهنة أخرى، ولديه دوام في العمل، وعقب ذلك يأتي ليكون في خدمة الشيخ الحسيني. كما أخبرنا الشيخ أن الرّسام شيوعي، فقلت في نفسي حتى وإن كان هذا الرّسام مسلماً متديناً، فلا بدّ أن يبدّل رأيه في الدين...

يوم الرحيل من ميتشغن

في العشرين من شهر أيلول صباحاً، ربّبت أغراضني كاملة استعداداً للسفر إلى واشنطن. وضعنا أغراضنا في السيارة،

كاتبين من تأليفه، أحدهما بعنوان الشمس تشرق من الغرب.
ومن المركز الإسلامي إلى مطار ميتشغن، ثم إلى واشنطن.

انطباعاتي عن ميتشغن

لا شيء يجذبك إلى ميتشغن، إذا ما قارنتها مع ولايات أخرى. طبعاً البعض يفرح لوجود حالة إسلامية فيها، ولوجود إسلامي بعدد معتدّ به. وقد فرحت بذلك ولكن لم أشعر أن فيها شيئاً مميزاً بشكل فريد.

أمّا على مستوى الجالية الإسلامية والعربية، فتجد أن المسلمين يعيشون حياتهم الطبيعية، إن لم تكن التي يعيشونها في بلدانهم فهي أفضل، خاصة من ناحية حرية التعبير عن الرأي.

في هذا العام صدف أن إفتار جمعية المبرّات الخيرية في ميتشغن حضره ألف وخمسمائة شخص. كما أن المراكز الإسلامية في أميركا أقامت مجالس عزاء بمناسبة رحيل السيّد فضل الله. كذلك فقد أحييت الجالية ذكرى اختطاف السيد موسى الصدر... وهكذا فكل المناسبات الشيعية والإسلامية والوطنية والعربية تجد مكانها هنا.

ومن الصحف التي طالعتها هناك:

• صدى الوطن، أسبوعية عربية، تصدر في ميتشغن وأميركا الشمالية.

وانطلقنا إلى مركز السيّد القزويني، تلبية لدعوة على طعام الفطور، ولم أكن أنا أو لقمان سليم على معرفة مسبقة بالسيّد القزويني.

استقبلنا السيّد القزويني، وجلسنا في مكتبه الخاص لفترة، حتى حضر عدد من المدعوّين، فصعدنا حيث مائدة الطعام. تناولنا ما تيسّر من الفطور، وقد كنّا صباحاً تناولنا نصف وجبة فطور في الفندق.

خلال الفطور دار حديث صاحب بين عدد من الإخوة عن واقع التوتر السني/الشيعي، وقد تميّز السيّد القزويني بطرحه العقلاني الواعي، في حين تحدّث أكثر من شخص بشكل موثور، وبخلفية حقد وظيفية.

حضر لدى السيّد القزويني عدد من العلماء الذين لم يحضروا لدى الشيخ برّي، كسيّد من آل إبراهيم، وسيّد عراقي، ونجل السيّد القزويني، وهو معمم أيضاً.

أطلعنا السيّد القزويني على نشاطهم في ولاية كاليفورنيا، باعتبار أن والده، آية الله السيّد مرتضى القزويني، لديه مؤسّسات فيها، في لوس أنجلس. كذلك أبلغنا السيّد القزويني أنه يتردّد إلى لبنان قبيل فترة الحجّ من كل سنة.

لم تكن جلستنا لدى السيّد القزويني طويلة، كوننا محكومين بموعد السفر. وفي ختام الجلسة أهدانا السيّد القزويني نسخاً من

• الحياة العربية، أسبوعية، تصدر في أوروبا وشمال أميركا.

• الحدث، تصدر كل أسبوعين، في ميتشغن.

• العصر الإسلامي، شهرية، تصدر عن المجمع الإسلامي الثقافي.

خلال ٥٠ ساعة في ميتشغن وقع بين يديّ هذا العدد من المنشورات، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على الحرّية التي يتمتع بها المسلمون والعرب. ولا أنسى وجود بعثات الحجّ، والكتب الدينية، وحتى أن كتاب السيّد حسن القزويني الأنف الذكر الشمس تشرق من الغرب ينتقد فيه المجتمعات الأميركية بشكل لاذع وصریح.

الجمهورية الإسلامية في أميركا

حينما دخلت ميتشغن، وكنت قد جلت قبلها في عدة ولايات، قلت في نفسي إن طبيعة البشر تتبدل دائماً: الآراء، والأفكار، وحتى الدول، فعلى مرّ العصور تكبر الدول في أحيان وتصغر في أخرى، فهي عرضة للتغيير.

تصوّرت أن يأتي يوم على الولايات المتحدة فتصبح غير متّحدة، أو تصبح كل ولاية دولة مستقلة. أخذت أبني على هذه الفكرة، التي قادتي للتفكير بمئة عام من الآن، أو بمئتين أو ثلاثمئة. فهل ستكون ولاية ميتشغن «دولة إسلامية»؟ لا بمعنى

أن الإسلام سيكون دستور البلاد، بل على الأقل يكون مواطنيها، والعدد الأكبر منهم، في تلك الأيام، من المسلمين؛ ففيها اليوم مئتا ألف مسلم، ولا ندري لاحقاً كم سيكون العدد، خصوصاً أن المسلمين هم الأكثر إنجاباً، والأكثر زواجاً، ناهيك باستمرارهم بالهجرة إلى تلك البلاد، هذا فضلاً عن إقبال البعض على اعتناق الدين الإسلامي.

في العشرين من أيلول، عدت إلى واشنطن دي سي، للمرّة الثالثة، برفقة لقمان سليم، وقد نزلنا في منزل مستقلّ، في هذا القسم من الزيارة للولايات المتّحدة الأميركية، كنت على موعد مع السفر إلى لبنان بعد أيام، لذا كانت الأيام الأخيرة في هذه البلاد تختلف عن غيرها، على أكثر من صعيد:

الأول: الملل من طول السفر، والبعد عن العائلة، وكنت قد أجريت اتّصالات بزوجتي، أدركت خلالها أنها تشكو طول فترة سفري، وابني أحمد يلحّ عليّ دائماً بالعودة إلى لبنان. وحين حادثته مرّة طلب مني العودة، قلت له إنني مسافر في الولايات المتّحدة، فقال لي: تعال الآن. حادثني وكأنتني في مكان

واشنطن دي سي، ثالثة

يبعد أمتاراً عن منزلي في سدّ البوشرية، فحاولت إفهامه بأن المسافة بعيدة جداً، ولكنه كان مصرّاً على عدم فهم ذلك.

الثاني: أضحيناً في الثلث الأخير من شهر أيلول، أي موعداً بدء العام الدراسي في كل المعاهد العلمية، لذا يفترض وجودي ضمن لبنان، لأتابع شؤون حوزة الإمام السجّاد^(ع) العلمية، وأي غياب أطول سيؤدّي إلى خلل في مسيرة العام الدراسي، ما جعلني مشوّشاً، وقلقاً على الوضع الداخلي للحوزة. المهمّ أن جملة عوامل جعلتني ممتعضاً من طول فترة غيابي.

عدة لقاءات ثقافية واجتماعية حصلت في ٢١ و٢٢ أيلول، وكنت خلال كل المناسبات التي تجمعي مع من لا عهد له بالشيعية - حيث إن تلك البلاد بعيدة عن واقعنا هنا - فكنت أسأل عن الشيعة، عن فكرهم وعن رؤاهم وهواجسهم. اعتبرت نفسي سفيراً للتشيع في تلك البلاد، وأنا الشخص المؤمن بشييعتي أكثر من كثيرين يوحون للناس بأنهم يحبّون التشيع، ويوالون أهل البيت^(ع) بشكل يظهر منه أن علاقاتهم بالتشيع هي دليل عدم قناعاتهم الحقيقية به.

أنا مؤمن بأن التشيع هو الفكر الذي يستحقّ أن يدين به الناس، وهو أرقى المبادئ الدينية، وعلينا مسؤولية تقديم هذا الفكر بشكل حضاري، وهذه فرصة لي لكي أطلع من لا يعرفون هذا الفكر على

حقيقته، أرى أنّني أحقق إنجازات كبيرة وعظيمة حينما أحاول أن أقدم صورة إيجابية عن هذا المذهب، خصوصاً أن كثيراً من الشيعة قدّموا صورة سيئة عنه، وكانوا نماذج رديئة عن أتباع مذهب أهل البيت^(ع).

عشاء في فرجينيا

المرّة الأولى التي كنت فيها في واشنطن، التقيت بالدكتور أكرم الياس، وفي المرّة الثانية دعاني الدكتور الياس لتناول طعام العشاء فلبّيت دعوته.

وفي يوم ٢٣ أيلول، كنا اتفقنا أنا والأستاذ لقمان سليم والدكتور أكرم الياس على العشاء سوياً، في مطعم لبناني، في ولاية فرجينيا.

كانت الجلسة مفيدة جداً، حيث وضعنا الدكتور أكرم بصورة بعض أنشطته، وبعض تصوّراته لمبادرة ما على المستوى الإسلامي - المسيحي، وأخبرني أنه زار البطريرك صفير طالباً منه الإقدام على خطوات في هذا الصدد.

وقد دار نقاش عنيف فكرياً، ولكن بشكل ودّي بين سليم والياس، حيث كانا على خلاف كبير في تشخيص المصلحة... فللقمان سليم رؤية في السياسة المحليّة في لبنان، وفي السياسة الإقليمية والدولية، ولياس رؤية أخرى.

المطار، حيث أوصلنا هذا الصديق إلى المطار وودّعنا. وقد طرأ تغيير طفيف على رحلتنا إذ سافرنا من واشنطن إلى دبي، بدلاً من ألمانيا، بحيث استغرق سفرنا إلى دبي أكثر من ثلاث عشرة ساعة دون توقّف ومن دبي عدنا إلى بيروت، بما يزيد على الساعتين من الزمن، فوصلنا بعد منتصف ليل ٢٦ أيلول إلى أرض لبنان، في رحلة أولى لي إلى خارج لبنان، وقد تكون الأخيرة.

ليس عيباً أن أصرّح أنني استعدت كثيراً من هذه الرحلة، ولا مانع أن أعلن أنني تعلّمت أشياء كثيرة من هذه السفرة، بل العيب والتخلّف يكمن في اعتبار الإنسان نفسه كاملاً، ولا يستفيد من شيء.

ما قمت به في هذه الرحلة إلى الولايات المتّحدة الأميركية، من ٢٨ آب ولغاية ٢٤ أيلول ٢٠١٠، كان بمثابة تجربة فريدة ومهمّة بالنسبة لي، خصوصاً أنني نشأت في بيئة كل ما أسمعها فيها أن ما هو موجود في لبنان غير متوفّر في الحياة الدنيا، إلا في هذا القطر الصغير؛ جمال الطبيعة، الوعي، الحضارة، الحرية، اللباقة... ولكن ما إن وصلت إلى أميركا

أثير موضوع وضع لبنان، وتركيبه الدولة، وخلفيات الحرب الأهلية في لبنان وتأثيراتها. كما تمّ التداول بالسياسة الأميركية، وبنقاط القوّة لديها، وبنقاط الضعف.

وبالمحصّلة، كانت سهرة ممتعة وجميلة، وكانت أطباق المطعم ممتازة، وأصنافه لبنانية. واتفقنا على الاستمرار بالتواصل في لبنان.

المغادرة

في الخامس والعشرين من شهر أيلول كنا على موعد مع مغادرة أميركا، متوجّهين إلى ألمانيا، ثم منها إلى لبنان.

كانت اللحظات الأخيرة في أميركا تشكّل إرباكاً لي، فيها السرور الكبير بالعودة إلى الوطن، وبرؤية العائلة والأحبّة، والعودة إلى العمل. وفي الوقت نفسه فإنني أترك بلداً يمثّل مركز القرار العالمي، وفيه من الحضارة ما نفتقر له في بلداننا.

وبالخلاصة، عشت لحظات متعبة، لحظات جميلة وحزينة، ليس من السهل ترك بلد عشت فيه أكثر من خمسة وعشرين يوماً، وتعرّفت فيه على أناس طيبين.

وفي هذا اليوم جاء صديق للقمان وتناولنا معاً طعام الغداء، في مكان إقامتنا، ودار نقاش حول شؤون وشجون لبنان والمنطقة، حتى حان وقت مغادرتنا، للذهاب إلى

تجاربنا ومشاهداتنا

حتى وجدت نفسي، كما يعبر المناطق، جاهلاً جهلاً مركباً، أي أنني أجهل جهلين، الأول جهل الأمر، والثاني جهل بكوني جاهلاً.

ليس خطأ أن أقول إنني تعلمت من أميركا، وفي أميركا، خصوصاً أن هذه الدولة القارّة، تضمّ فيما تضم كل أصناف البشرية. ولا أبالغ إن قلت إن من شاهدتهم، أو تكلمت معهم، قد يعودون بجذورهم إلى ما يزيد عن الخمسين دولة.

في أميركا عدّة ملايين من العرب، وفيها عدّة ملايين من المسلمين، وفيها عدد كبير من الصينيين، وفيها عدد كبير من الفرس، وفيها الهنود، فيها الباكستانيون، فيها الأثيوبيون...

في هذا البلد مكان لكل المنتجين، والعاملين، ولا يرتاح فيه الكسالى، وعديمو الفائدة. من أراد أن يعيش في أميركا عليه أن يعمل ويتعب، ويحصل نتيجة تعبته وشقائه.

النظام السياسي

من الأمور التي استأنست بها في هذه الرحلة، تعرّفي على طبيعة النظام السياسي، الذي تُحكّم به البلاد، حيث وجود نمط لا عهد لنا به في بلادنا.

خمسون ولاية، لكل ولاية نظام مختلف عن الآخر، بل في كل ولاية نظام خاص بكل

مقاطعة... وفي المقاطعة تختلف أنظمة البلديات بعضها عن بعضها الآخر... تتشابك الأمور وتختلف، وتتعدّد الأنظمة.

يتمّ التكامل بين النواب والشيوخ، في مجلسي النواب والشيوخ، وللعلم فإن الأميركيين لا يحبون استعمال لفظ «النائب» بل يعتبرون أنه لا يجوز أن ينوب أحد عن أحد.

طبيعة النظام الحزبي مميزة أيضاً، حيث إن الحزبين الأساسيين هما الجمهوري والديموقراطي، وعلى ضفافهما عدد من الأحزاب الناشئة، ولكن لم يستطع أيّ من الأحزاب المعارضة لهما أن يثبت وجوده في الحلبة السياسية الأميركية، لذا فإن الصراع السياسي يبقى منحصراً بينهما. ولكن مؤخراً ظهر تيار جديد يعبر عنه بـ«حزب جلسات الشاي» يحاول اختراق هذا الجدار وإثبات وجوده، وقد استطاع إيصال مرشّح للكونغرس عن إحدى الولايات. ومع ذلك تبقى هناك تحديات كبيرة يواجهها هذا التيار الناشئ، وعلى الأرجح أنه لن يستطيع إثبات جدارته وحضوره في الساحة الأميركية قبل مضيّ فترة زمنية طويلة.

النظام الأميركي مرن ومعقد في آن واحد، فإن أيّ مواطن له الحقّ في أن يعتبر نفسه مرشّحاً للجمهوريين، أو الديموقراطيين، فإذا حقق نتائج إيجابية مرتفعة في التصويت الأوّلي يفرض نفسه مرشّحاً حقيقياً للحزب، مع أنه قد لا يكون من مؤيدي هذا الحزب،

وفي الوقت نفسه ليس مضطراً لـ «طلب انتساب» إلى الأحزاب. يكفي أن تقول إنك من هذا الحزب حتى تصبح منه، ولك الحق في أن تعلن غداً أنك مع الحزب المقابل، ولا ضير في ذلك.

وفي مجال آخر، فقد توصلت بعض الولايات لإجراء الانتخابات عبر البريد الإلكتروني لمن شاء، وهناك دراسة في هذا الصدد، وذلك بإجراء الانتخابات في كل الولايات عبر البريد الإلكتروني... فضلاً عن ذلك كله، فإن الانتخابات تجري حالياً في كل الولايات المتحدة عبر البريد اليدوي لمن أراد طبعاً.

في الولايات المتحدة كثرة في كل شيء: الجمعيات، المعاهد، مراكز الدراسات، التنظيمات غير الربحية...

وفي أميركا حرية الرأي مقدّسة، إذ يحقّ لمن شاء أن يعبر عن رأيه، حتى أن المسلمين يأخذون حقوقهم في أميركا أكثر من بلدانهم الأصلية، فهل يستطيع السعوديون أن يقولوا في السعودية ما يقولونه في أميركا؟ وهكذا بالنسبة للسوريين والكويتيين واليمنيين... ولقد شاهدت مجموعة تدوس صوراً لأوباما في برودواي في نيويورك، حتى أن البعض رسموا رئيسهم بطريقة مشينة.

كما وعلمت بأن الفصل بين الدين والدولة في أميركا خلفيته حماية الدين من الدولة، وحماية الدين من السياسة، ومن استغلال

الدين في شؤون لا تليق به.

ولا يقصد من الفصل بين الدين والدولة حماية الدولة أو نتيجة موقف سلبي ضد الدين، كما قد يفهم البعض.

نمط المعيشة

لطبيعة عيش الأميركيين نمط خاص في أكثر من مجال، ومن القضايا الحسنة التي لفتتني:

• في معظم الولايات أماكن السكن تكون مستقلة، بمعنى أن كل عقار مستقل عن الآخر، والبيت من عدة طبقات.

• التأمينات والضمانات التي تكفلها السلطة لكل المواطنين، وخصوصاً للعمال، ودافعي الضرائب.

• سرعة حضور الأجهزة الأمنية والصحية عند حدوث أي طارئ يستدعي ذلك.

• سيّارة الأجرة تعمل على العداد، فيتم احتساب المسافة والوقت، وتدفع حسبما استعملت هذا المأجور.

• الكل في أميركا يمشي، ولا أحد يتكبّر على ذلك، كما أن ركوب سيّارة الأجرة لا عيب فيه، كما في المجتمعات المتخلفة.

• الباصات تعمل بشكل لطيف، القطار تحت الأرض، وأما الطائرات فهي أكثر وسائل النقل استعمالاً للمسافات الطويلة، وفي كل

الولايات مطارات، بل العديد من المطارات في الولاية الواحدة.

ومما يلفت أن أجرة ركوب الطائرة أرخص من أجرة ركوب السيّارة العادية، وحالة استعمال الطائرات مستشيرية في المجتمع الأميركي.

• تدخل إلى مطعم فتجد كل أحجام البيتزا، مثلاً، بل أكثر من ذلك، إذ يتم بيع قسم من قطعة البيتزا، وحتى السندويشات تباع مثلجة في السوبر ماركات.

• المنازل والمؤسسات وكل الأبنية مرقّمة بطريقة تسهّل الوصول للمقصد، والشوارع كلّها مرقّمة أيضاً.

السليبات

بالإضافة إلى الجانب الإيجابي لوضع الولايات المتحدة الأميركية، هناك جملة أمور تعتبر سيّئة بحق أميركا، وهي: الأول: التشرد: في أميركا ظاهرة كبرى جداً، هي ظاهرة التشرد حيث ترى أشخاصاً كثيراً ينامون في الطرقات، ليس لديهم منازل، ولا أعمال ولا وظائف، بل يعيشون عالة على المجتمع، وقد صادفت العشرات بل المئات منهم، خصوصاً في سان فرانسيسكو، حيث لديهم حضور كثيف.

الثاني: تفكك الأسر، حيث إن الأقارب لا يعيشون حياة مترابطة كما هو الوضع لدينا، أضف إلى ذلك أنك قلّما تجد شاباً

أو شابة تحت سلطة والديهما، وفي الكثير من الأحيان ينفصل الأبناء عن آبائهم، ويستقلّون بحياتهم.

وأخيراً، فلكل منطقة في الولايات المتحدة نكهتها الخاصّة، لواشنطن، لسان فرانسيسكو، لكانساس سيتي، لنيويورك، لميتشغن، حتى أنني وجدت لواشنطن في الزيارة الثانية نكهة مختلفة عن الأولى، وفي زيارتها ثالثة نكهة مختلفة عن زيارتيها السابقتين.

يبقى أن أجمل ما حصّلت في أميركا تعرّفي إلى الدكتور أكرم الياس في واشنطن، وإيلي شربل في نيويورك، وعائلة مؤمنة في كانساس سيتي، والجالية الإسلامية في ديربورن، إضافة لجملة علاقات طيبة مع مجموعة من الأشقاء العرب، من اليمن والكويت والسعودية والإمارات وليبيا والأردن وموريتانيا والسودان ومصر والجزائر وتونس والعراق والمغرب وفلسطين وسوريا...

ما لم أستطع معرفته عن العالم العربي في لبنان تعرّفت إليه في الولايات المتحدة الأميركية. وما أحببت معرفته عن تركيبات مجتمعية مختلفة عن نمط أسرتي - التي أفتخر بعاداتها وتقاليدها ودينها - استطعت معرفته في أميركا.

هذا مضافاً لجملة هدايا قدمت لي، وما زلت احتفظ بها للذكرى، وهي: قطعة عقيق وخنجر من التراث اليمني، (من أم كلثوم اليمنية)، تعليقة مفاتيح مع كف مُجَمَّل بحصّ، (من أمانة التونسية)، شارة تعلق على الصدر من مركز السيدة خديجة لصاحبات الأعمال في جدة، (من هيا من السعودية)، ثلاثة أوراق نقدية من العملة الكويتية التي لم تعد تستعمل، (من محمد الكويتي).

لزوجتي نصيب من أميركا، فقد جعلتني أميركا أتعلّق بها أكثر، أعرف أهميتها، واهتمامها بشؤوني الخاصة. فكم كنت أسعد حينما أغسل ثيابي، وكم كنت أشعر بالمسؤولية حينما أكوّيها، وأنا الذي اعتاد على عدم المباشرة بهذه الأمور؛ غسل الثياب، تحضير الطعام، وغير ذلك من قضايا تجعلك تشعر بالمسؤولية أكثر، وتجعلك تعرف أهمية الزوجة - الرفيقة في الحياة أكثر، تجعلك تشعر وتعاني التعب والمشقة.

لقد صدق الحديث عن فوائد السفر، وأهميته، فكله فوائد، عادات مختلفة، ثقافات متعدّدة، أشكال متنوعة، أنماط

عيش مختلفة، أنواع أكل كثيرة، ومتنوعة المناشئ، اختراعات جديدة.

تعرفت إلى عشرات الناس، الكثير منهم لم أحبّ مفارقتهم، منهم من دخل قلبي، خصوصاً تلك العائلة الباكستانية التي تسكن كانساس سيتي، والتي استضافتني على إفطار رمضاني، فقد كان صعباً علي أن أفارقهم.

وكذا الأمر بالنسبة لسيّدة سعودية، كانت تربطني بها علاقة احترام وتقدير، وقالت لي مودّعة: لقد تعلّمت منك كثيراً، عرّفتني على ديني أكثر، واستفدت منك كثيراً، أمل أن نبقي على اتصال مستمرّ، ودمعت عينها، وأنا أكاد لا أتمالك نفسي في مواقف كهذه.

في أميركا تعرّفت إلى لبنان أكثر، وتعرّفت إلى اللبنانيين أكثر، تعرّفت إلى نفسي أكثر، بل عرفت الحياة حقاً.

قد يعتبرني البعض مبالغاً ولعله أن يقول: كان بوسعك أن تستفيد ذلك جميعاً في أي بلد أجنبي آخر. هو كذلك في العموم والإجمال ولكنه ليس كذلك لمن نشأ نشأتي وأنزل الولايات المتحدة طيلة سنوات منزلة «الشيطان الأكبر».

[صفحة بيضاء]

**في خضمّ «الربيع العربي»
رسائل مفتوحة إلى رفاق الرحلة**

ملحق

[صفحة بيضاء]

عزيزتي أمنة،

أكتب إليك من بيروت - الحرية، وأنا أتابع مجريات الأمور في بلدكم الشقيق تونس، هذا البلد الذي أظهر أنه يملك إرادة قوية في التغيير نحو الأفضل، سعياً للوصول لحكم ديموقراطي عادل.

أمنة... أن لأمّتنا العربية أن تصحو من غفوتها...

أن لبلداننا أن تعرف الأنظمة الحديثة...

أن للديكتاتوريين أن يرحلوا عنّا...

كما أن لكل مصاصي ثرواتنا وناهيها أن يوضع لهم حد.

ما أشبع الحياة الذليلة في ظل حكم يسرق المقدرات، ويعيق تطور الشعوب،

ويصادر الحريات!

ما أحقر الحياة وأحطها في مجتمعات لا تقدّر أصحاب الكفاءات، ولا تفسح المجال للتنمية والرقى!

هل يجوز، ونحن في القرن الواحد والعشرين، أن نبقى نرى بلداناً دون إعلام حرّ، ليس فيها سوى أبواق للنظام الحاكم؟!

أمنة، اعلمي أنّ الشابّ المضحّي البوعزيزي قدّم للأمة العربية ما عجزت عن فعله أحزاب عريقة...

ما فعله البوعزيزي كان أفضل من عشرات نتاجات الكتاب والمفكرين والشعراء.

دم البوعزيزي أبلغ من خطابات المنظرين...

فعل البوعزيزي أرقى من أنشطة أحزاب منظمة وذات هيكلية إدارية متطورة.

روح البوعزيزي أصفى من العديد من علماء الدين الذين يبخّرون للسلطين والحكام.

شعلة النار التي أحرق البوعزيزي نفسه بها أكثر جدوى من نار أسلحة حديثة الصنع وذات تأثيرات بالغة.

أمنة، أسألك، بالله عليك، من أكثر نفعاً؟ الأحزاب التقدمية والاشتراكية والبعثية واليسارية والقومية في نشاطها خلال مائة عام أم دقيقة نضال وجهاد أقدم عليها الشابّ

البوعزيزي؟

أودّ معرفة إجابتك، لكنني أعلم أن الأجيال الآتية والتاريخ سيجيبان عن هذا السؤال. كما أنّ التغيرات الحالية، والثورات المتتالية والمتنقلة من بلد عربي إلى آخر، هما أبلغ إجابة، وأصدق تعبير، وأجمل نتيجة.



نشوى وجمال ومحمد (مصر)

أعزائي،
أحاول أن أكتب إليكم، ولكن يعتريني خوف من أن لا تصل رسالتي إليكم وأنتم بخير وسلامة! كم أخاف أن أسمع نبأ سيئاً من مصركم، خصوصاً بعدما شاهدت الإجرام على شاشات التلفزة، كأبشع ما يكون الإجرام، سيارات للدولة تسحق الشعب، وعصابات السلطة تقتل المتظاهرين الثوّار الأشراف، وبلطجية الدكتاتور تعدي على الأطفال والنساء والكهول والأبرياء...

ما ذنب شعب مصر؟! هل أضحت المطالبة بالديموقراطية جريمة؟ هل سعي شعب نحو العيش بكرامة تحوّل موبقة؟

ما هي مطالب الشعب المصري الكريم سوي تحديث النظام! وجعل السلطة تتداول بشكل ديموقراطي، لمن يحددهم الشعب حكاماً عليه، وأن يعيش المصري ببلده بشكل يؤمّن معه قوته ومسكنه، ويحافظ على كرامته.

أعزائي نشوى وجمال ومحمد،

كونوا على يقين بأن لتضحياتكم وتضحيات إخوانكم المصريين آثاراً إيجابية، لا على دولتكم الشقيقة، ولكن على مجمل دول الأمة العربية، بل على مجمل الشعوب التي

ترزح تحت حكم ديكتاتوري كالحكم الذي تعيشونه...

أعزائي، لاحظوا معي كيف أن شخصاً يرفض أن يتنازل عن السلطة كي لا يخذش كرامته! وهو بالوقت ذاته يسحق كرامة عشرات الملايين من شعبه!

كرامته وسمعته أفضل عنده من كرامة كل الأمة ومن عزّتها، من مستقبلكم ومستقبل أولادكم وبلدكم، للأسف كيف تمّ السكوت عليه طيلة عشرات السنين؟!

أعيد ذكر هواجسي التي أسلفتها، من القلق أن لا تصل رسالتي إليكم، أخاف من قدر قد يقع، أخاف من ظلم لا حدّ له يمارسه نظام مصركم الزائل بإذن الله...



نغم (فلسطين)

عزيزتي نغم،

بعدما راسلتُ أصدقاءنا العرب الذين يشهدون ثورات شعبية كبيرة تذكرك، فازداد تألمي وأسفي، لأن مصيبة فلسطين في كفة، ومصيبة العالم العربي ككل في كفة أخرى.

نغم، ما أحوال غزة وأريحا وكل فلسطين؟ ما هي أوضاعكم؟ كيف تسيرون أموركم؟ كيف تداوون مرضاكم؟ كيف تعلمون أبناءكم وأين؟ ما هي أخباركم الحالية؟

نغم، لن أحدثك عن تطوير دولة، فعن أية دولة نتحدث في رحاب فلسطين الأسيرة؟ وطبعاً، لن أحدثك عن ثورة على الحكام الظالمين، فالظلم الذي تعيشونه مختلف تماماً عن أي ظلم آخر. ويصح أن نقول عنكم إنكم تعيشون ظلماً كونياً.

بل سأحدثك عما يجري مع العرب، علك تشهدين في حياتك تغييراً في بلدك المسلوب، ولو في مرحلة متقدمة من عمرك، وأنت حالياً ابنة العشرين عاماً...

نغم، العرب يشهدون نهضة مباركة، انتفاضة على الواقع المرير، ولا شك بأن إرادة الشعوب المستضعفة هي المنتصرة على كل المتسلطين في عالمنا. ولقد وصل الأمر بأن يحرق الشعب نفسه كتعبير عن إرادة صلبة في رفض الاستعباد، كما أن العشرات استشهدوا في المظاهرات نتيجة الإصرار على التحديث، وهذا ما ينم عن مرحلة جديدة من الوعي العربي، ليس من السهولة التراجع عنها.

نغم، كوني متأكدة أنه بحال تحسّن وضع الأمة العربية، فإنه سينعكس إيجاباً على فلسطين. واعلمي أن تردّي وضع أبناء بلدك ليس نتيجة ظلم خارجي فحسب، بل هو نتيجة تواطؤ خارجي وداخلي، واليوم الإصلاح العام على مستوى الأمة ستصل تردّداته إلى قبلة المسلمين الأولى... نغم، كما أشعر بالأسى وأنا أحاول أن أطلب منك أن تبقي متأملة بصلاح أموركم، ولكن لا يجوز أن نياس، خصوصاً بعد حالة الصحو العربي.



خليل (الجزائر)

عزيزي خليل،

أودّ الاستيضاح عن حال الشعب الجزائري ووضعه، وما إذا كانت هناك بوادر خير من عملية الإصلاح السياسي، وقد سمعت بوجود انتفاضات محدودة تحدث في بلدكم العزيز، انسجاماً مع الثورات العربية الشعبية التواقّة لإيجاد نهضة سياسية على مستوى الحكم في كل ربوع العالم العربي المترامي الأطراف.

خليل،

ليس من حقنا السكوت عن أية حالة ظلم، ليس من حقنا الرضى بالذل والهوان الذي يصيب الشعوب العربية.

إلى متى سيبقى البرلمان - في عالمنا العربي - يضم أعضاء معينين؟ وإن جرت انتخابات فتكون صورية، فيُعيّن النواب بصورة انتخابات؟!

إلى متى سيبقى البرلمان لا يقرّر؟! إلى متى سيبقى النواب يأتون من الحزب الحاكم - في كل بلد عربي - اللهم إلا القلّة من أجل تطعيم مجلس النواب بأشخاص لا يشكلون رقماً مؤثراً، والأصح أنهم شهود زور على عملية التسلط على الشعوب؟!

عزيزي، هل من الصحيح أن يبقى ديدن الرؤساء العرب ألا يذهبوا إلى (مقابرهم) إلا من القصور الرئاسية؟

أخي خليل، أحيي فيكم روح الثورة، روح النضال من أجل التغيير والتحديث، روح الكرامة والعزة والإباء...

على أمل اللقاء مجدداً في رحاب أنظمة أكثر عدلاً وحرية. وكلي أمل أن تخطو الجزائر خطوات إلى الأمام في ورشة الإصلاح الديمقراطي.



عزيزتي أم كلثوم،

عقب ما جرى في تونس، وتالياً في مصر، أضحينا نتوقّع من الشعب اليمني الكريم أكثر ممّا نسمع عبر الإعلام، هذا ولا نقلّ من صعوبة الأمر لديكم، ولكن محبتنا لليمن ولشعبه تدفعنا لأن نتمنى لهذا البلد كل الخير، نتمنى أن يصل لنظام حرّ وعادل.

عزيزتي،

بلادنا ذات تاريخ عريق ومشرف، وفيها طاقات مهمّة، ولكن السياسة الذين يديرون شؤوننا لا يفسحون المجال للمبدعين لكي يعبروا عن طاقاتهم. ولا يطلقون يد الإعلام الحرّ، ويحاولون اللعب على التناقضات الداخلية محافظة على عروشهم، وسعيّاً لإشغال الناس.

ليس من العدل والإنصاف أن يبقى التصنيف سائداً على المستوى الديني. كالتهميش الذي كان يطال المسيحيين في مصر، أو قمع الزيديين في اليمن، وهكذا كل أقلية دينية في بلداننا.

حان الوقت لنعي أن الدين شأن شخصي، الدين هو معتقد بين العبد وربّه، وللمرء الاعتقاد

أم كلثوم (اليمن)

بما يراه مناسباً، وبذلك حكمت الأديان، والدساتير الوضعية. ولتعبّد المرء في منزله وفي مكان عبادته، وبينه وبين ربه، ولكن بمعزل عن إدخال بلاد وشعوب وثروات شعوب ومصير أمم، بقضايا شخصية قد تحدث اضطرابات كبيرة.

أم كلثوم،

إن بلدكم يفترض أن يسير على درب الأنظمة الحديثة، في قضايا التنمية البشرية والسياسية، شعبكم يستحقّ العيش بكرامة واحترام... وما لا يحصل بمجرد المطالبة عبر بيانات سياسية يحتّم علينا السعي السلمي له عبر التظاهرات، وما شاكلها، لإحداث هذه التغييرات المرجوة.



عزيزتي سوسن،

عزيزي محمد،

لا أحسدكم على وضعكم، وعلى نظامكم الملكي، الذي نادراً ما شهد إصلاحات، ولذا فإن تطورات الحالات الشعبية التي تعترى عالمنا العربي لا بدّ أن تشمل المملكة الأردنية.

سوسن، محمد

لا يحقّ لأحد قمع الشعب، والقضاء على أصحاب الطاقات والقدرات في قبالة إظهار صور ومجسّمات لعدد من أفراد الأسر الحاكمة، دون وجود حالات تجديدية أو أي شيء جذاب في هذه الشخصيات، فضلاً عن عدم تحليهم بأي نفس إبداعي...
عزيزي،

إنّ الشعل الملتهبة في نفوس العرب لا يجوز أن تبرد دون أن تكون فعلت فعلها في الأردن العزيز، كون الوضع الحالي تضمّن ظروفاً موضوعية فسحت المجال للتغييرات، انطلاقاً من الواقع الداخلي الباهت، وتزامن ذلك مع حالة ارتباك وذهول خارجية، بل وحالة إحراج أمام جحافل الثوار. ولكن بحال هدأت النفوس فإن الإحراج سيزول، وكذلك الذهول والإرباك، وتالياً ستضيق فرصة ذهبية لن تتكرر في المدى المنظور...

الصحوة في المجتمعات العربية مهمة للغاية، والمرتجى شمولها كل الأقطار العربية دون استثناء، بما فيها الأردن الشقيق.



عزيزي زيد،

لكم فرحنا بسقوط النظام الديكتاتوري التونسي، ثم ازداد الفرح عقب سقوط النظام المصري، والفرحة تكبر يوماً بعد آخر حينما نرى الشعوب العربية تنتفض على حالات احتكار السلطة واستعباد الناس.

زيد، يمكنك معرفة أخبار لبنان من خلال الفضائيات اللبنانية، التي لا تنفك تعرض مجريات الشأن اللبناني بصيغة مبالغه، في لبنان لا يبقى حدث دون أن يضيء الإعلام عليه، ليست المشكلة اللبنانية أن الإعلام لا يغطي الأخبار، بل قد تكون من مشاكل لبنان أن الإعلام يبالغ في أطروحاته، ويبالغ في صراعاته السياسية الداخلية، كل وسيلة إعلامية تابعة لجهة سياسية تحارب أخصامها بشكل مفرط.

كما أتأسف لكوننا لا نسمع أخباراً كاملة وواقية عن وضع المغرب. وعليه، فإنني أمل منك أن تضعني بصورة الوضع لديكم، ومصير السلطة، وعن الحالة الاجتماعية التي تعم البلاد.

عزيزي،

يفترض ضحّ دم جديد في السلطة، بل يفترض جعل بلدكم ينعم بنظام ديموقراطي، يحكم بإرادة الشعب، نظام يحترم حقوق الإنسان، نظام يقدر الحريات ويقدسها. إن تضحيات شعب تونس ومصر، في سبيل الحرية، وفي سبيل التقدم، يجب استكمالها، تطويراً لواقعنا، وحفاظاً على دماء الشهداء الأبرار الأحرار، فالتاريخ سيكتب ردة فعلنا عقب الانتفاضة العارمة، وستحكم علينا الشعوب والأجيال.



عزيزي محمد،

قلّما نسمع شيئاً عن أحوال بلدكم الشقيق موريتانيا، لكن المعروف عنكم أنكم شعب مسالم، شعب يمارس عمله الديموقراطي دوماً بتشكيل برلمان، وما جرى فيه من انقلابات على مستوى الحكم لم يكلف موريتانيا بذل الدماء...

وتالياً، فإنكم تمارسون عملكم في السلطة بشكل فريد وجيد، ولكن لا شك يبقى همّ تغيير نمط الحكم في العالم العربي ككل همماً مشتركاً، خصوصاً في ظل هذه التطورات التي يعيشها العرب.

عزيزي،

إن سألتني عن لبنان فوضعه حالياً لا يُحسد عليه، نتيجة ارتهان معظم القوى السياسية للخارج، وتميرهم لمصالح الخارج على حساب المصلحة الداخلية الوطنية. ولكن في موضوع الديمقراطية فإن لبنان بلد ديمقراطي، وهو صاحب تجربة في هذا المضمار، وأسبق من غيره في ممارسة الديمقراطية وتطبيقها.

محمد،

أسألك عن وضع موريتانيا، عن أحوال الشعب، عن انعكاس ثورات الشعوب العربية على الحكام لديكم؟!

وفي هذه الأجواء الإصلاحية حبّذا لو تستطيعون سحبها على بلدكم، بغية تطوير نظام موريتانيا؟ لا سيّما وأن بلدكم يشهد انقلابات سياسية. لكن لو تمّ تنظيم تداول السلطة بشكل سليم، ولو تمّ إعطاء كل مواطن حقه في المشاركة السياسية، لما تمّ حصول انقلابات عسكرية، سعياً لاستلام السلطة.



عزيزي نبيل،

سمعت أن كثيرين حاولوا الانتفاضة على الواقع السياسي في الجماهيرية الليبية، لكن النظام تصدى لهم بشكل قاسٍ.

ليس من الحكمة مرور الانتفاضة الشعبية على العديد من الدول العربية - ذات الحكم الديكتاتوري - ولا تستفيد دولتكم العزيزة من هذا الجوّ العربي العام.

عزيزي،

أعلم أن رسالتي قد لا تروق لك، وأعرف أنّك تؤيّد النظام، ولكن لا أعرف إذا كانت تلك هي قناعاتك الحقيقية أم أنها تقيّة سياسية! وبالنتيجة، لديّ قناعة أنك لست على حقّ في ذلك، وأن النظام لديكم يمارس الظلم والقمع والكبت، ويستعبد الناس.

هل من العافية السياسية أن يبقى شخص على رأس السلطة عشرات السنين؟ خصوصاً إذا كان هذا الشخص يعبث بملايين المواطنين، ويجعلهم يعيشون طبق مزاجه!!

بنيل
(بنيل)

عزيزي محمد،

فلتتمّ تنمية القدرات لكل العوائل التي تحكم، ولتفرز الدول طاقاتها، وليأخذ الشباب دورهم الطبيعي، ولتقم النساء بمسؤولياتهنّ... وحينها تكون ثورة إصلاحية داخلية تواكب إزالة الأنظمة الديكتاتورية.



عزيزتي موزة ومريم،

عقب المستجدات التي تحصل في عالمنا العربي، يهمني أن نتبادل الشؤون والشجون المشتركة، حيث إن لهذه التغيرات انعكاساتها التي تشمل كل المحيط. صحيح أن وضع الإمارات العربية مختلف عن وضع الكثير من الدول العربية، نتيجة العمران والنهضة اللتين يتحلّى بهما هذا البلد... ولكن الإصلاح لا يُبتغى منه تحقيق العمران (الحجري) فقط، بل الإصلاح يكون على صعد الحريات الإعلامية، وحرية التعبير، وتداول السلطة، وتفعيل دور المجالس الشعبية... مريم، موزة،

لا أقصد ممّا مرّ التعامل بعنف مع هذا النظام، بل على العكس، إن كان لدينا نظام لديه إيجابياته، فلنتعامل معه بطريقة حسنة، ولنحاول التفاهم معه حول كيفية تحديث هذه الدولة، وطبعاً حكم هذا النظام ليس هو الحكم الأمثل والأرقى الذي توصلت له البشرية.



عزيزي أحمد،

أبعث برسالتني هذه إليك، سائلاً الله أن تكون بصحةً وعافية وسلامة. وقد تابعت منذ فترة عملية الاقتراع التي حصلت على جنوب السودان، والتي أسفرت عن تقسيم بلدكم الكريم.

أحمد،

إنّني ضد تقسيم بلداننا العربية من ناحية مبدئية، ولكنني في الوقت نفسه مع

موزة ومريم (الإمارات)

أحمد (السودان)

أن يقرّر كل شعب مصيره، ويحدّد وجهة الحكم التي يريتها، وها أنتم قرّرتم ما نتج عن هذا الاستفتاء، فها نحن نرضخ لما حدّدتموه.

وبعد،

فإن الشراكة المباركة التي انطلقت من تونس، وتحديدًا من جسد الناظر البوعزيزي، نراها تضيء شعلاً في العديد من بلداننا العربية، وقد تابعت أخباراً تلفزيونية تتحدث عن تحركات في السودان الشقيق، وهذا ما يبشر بالخير، وينبئ عن إرادة شعبية تهدف للوصول نحو مجتمع أفضل. عزيزي أحمد،

أعلم أنك تحبّ النظام، وأنا أحبّ بلدكم، وأحبّ شعبيكم، كما أتمنى لأولادكم مستقبلاً أفضل، لذا أودّ أن تسري عدوى التغيير والديموقراطية لبلدكم.

ما المانع إن كان الشعب يحدّد مصيره ومساره دون أي قيود؟!

ما المانع أن يكون الشعب هو صاحب رأي حرّ، وإعلام حرّ؟!

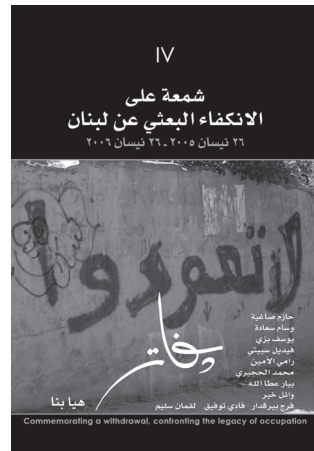
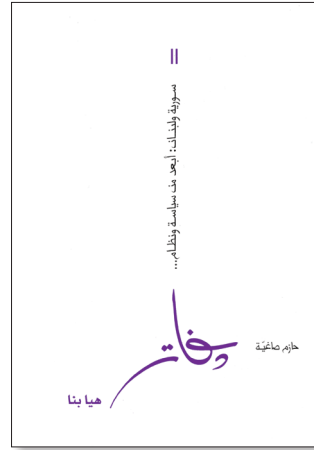
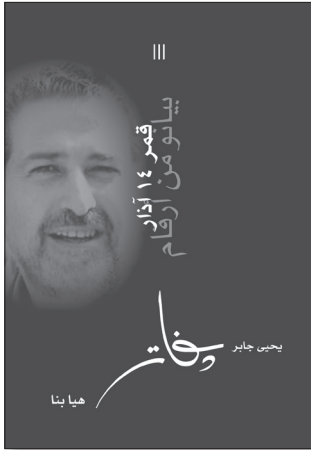
ما المانع أن يتمّ تداول السلطة بشكل ديموقراطي ودوري؟!

ما المانع أن يفرز السودانيون قيادات جديدة، شابة، مثقمة، واعية، حريصة على العباد والبلاد؟ أحمد،

لست أكثر حرصاً منك على بلدك، ولكنني شخص يتأمل هذا الواقع العربي المقيت، بخلفية إنسانية. أقارب الأمور، أحزن للظلم، أتشاءم عند رؤية رموز الأنظمة الفاسدة، وأتساءل حينما أرى المظاهرات الشعبية العامرة، التي تعيد لي الأمل بمستقبل زاهر، لأمتنا، ولأبنائنا، ولعالمنا.

[صفحة بيضاء]

وختر هيا بنا



[صفحة بيضاء]

As noted previously, the “official” portion of the trip was organized expressly for a group of Arab representatives from countries including Tunisia, Yemen, Egypt, Jordan, Palestine, Sudan, Algeria, UAE, Bahrain, Morocco, Mauritania, Libya and Kuwait. As an appendix to his travelogue, Sheikh al-Hajj added a chapter titled *In the Midst of the Arab Spring: Letters to My Trip Mates*. In that

section, he expresses his views as a Lebanese citizen regarding the events or non-events (whatever the case may be) to each country representative. And while it was perhaps coincidental that those to whom Sheikh al-Hajj addresses his comments met on the eve of the “Arab Spring,” it was certainly serendipitous that they encountered each other while being hosted by the “Great Satan!”

of the September 11 attacks. His narrative on this experience, which sometimes borders on confession, describes his indecision about wearing traditional clerical dress or “hiding” in a typically anonymous trouser and shirt combination to avoid appearing “provocative” to the public. Ultimately, he opted for his religious attire after deciding to “be himself,” an action motivated by his desire to emphasize that being a Muslim in no way implies association with, or sympathy for those responsible for the slaughter that has prejudiced the relationship between the US and Islamic world. Indeed, his narrative acknowledges one of the primary conclusions he drew from the trip: only a joint Muslim-American effort can bring about a

truly peaceful relationship between these two worlds. Sheikh al-Hajj refers clearly to the Muslim side when he highlights the consequent responsibility of the Muslim-American “community” with respect to the way Muslim culture is viewed within the American landscape.

Owing to his desire to learn more about the Shia community in the United States, Sheikh al-Hajj made a three-day trip to Dearborn. Along with Lokman Slim, a colleague and fellow IVLP alumni, he met notables of the community and engaged with its members. In his account, Sheikh al-Hajj explains that the heart of the message he hoped to impart to his American counterparts was to “Be as proud of being Shia as you are of your freedom as American citizens.”

groundbreaking, then taking a plane to the United States represented yet another monumental hurdle. Clearly, such a visit flew in the face of the taboo that typically compels people to avoid visiting the country often termed by certain members of his community as the “Great Satan.”

From a reader’s perspective, this travelogue is indeed unique. Employing the same frankness that enables him to admit his fears of flying and heights, Sheikh al-Hajj expresses himself with clarity and freshness as he compares two remarkably different worlds: the one from which he hails and the one he is discovering. Indeed, he is well-equipped to make this comparison since the trip involved two primary elements. The first, orchestrated entirely by the

IVLP and shepherded by its representatives, consisted of a group of men and women from various parts of the Arab world visiting Washington, DC, San Francisco, Missouri and New York. The second took Sheikh al-Hajj to Dearborn, Michigan, the “hub” of the Lebanese Shia diaspora in the US.

Sheikh al-Hajj has organized his travelogue chronologically, nearly on a day-by-day basis, rendering his experiences with surprising details and subjective anecdotes. He makes no attempt to hide what he liked or disliked, what excited him or what he considered bizarre and repulsive.

As fate would have it, Sheikh al-Hajj found himself at “Ground Zero” on the ninth anniversary

As a participant in the International Visitor Leadership Program (IVLP), a professional exchange program sponsored by the U.S. Department of State, Sheikh Mohammad Ali al-Hajj spent almost a month in the United States (August 28 – September 24, 2010). Sheikh al-Hajj is a Lebanese Shia cleric and the director of a religious seminary (or *hawza*) located in Beirut's southern suburbs. Recognized by his peers in the Shia clerical milieu as one of its most prolific researchers and

writers, the Sheikh has written his observations and impressions about this unique experience in the form of a travelogue.

The extraordinary nature of his trip involved both individual and societal risks. As he states in the brief introduction, Sheikh al-Hajj had never before been able to overcome his fear of flying despite the many warm invitations he has received from people and organizations worldwide. And if his decision to finally ride in an aircraft wasn't sufficiently



a supplement of **KHITAT LUBNANIYYAH**

www.hayyabina.org • hayyabina@hayyabina.org

Sheikh Mohammad Ali al-Hajj

A Guest of the “Great Satan”

The US Travelogue of a Lebanese Shia Cleric

Followed by

In the Midst of the “Arab Spring”:

Letters to my Trip Mates

هيا بنا



Hayya Bina's Log
Twelfth issue, July 2011

هيا بنا

- (VII) الشيخ محمد علي الحاج
هذا المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى...
الأدوار، الواقع الأفق
- (VIII) رامي الأمين
يا علي... لم نعد أهل الجنوب
- (IX) سعود المولى
طريق ذات الشوكة
الشيعية اللبنانيون في تبلور وعيهم الوطني
- (X) بلال خبيز
سقطت سهواً... مرتين
سيرة «مقاوم» يبحث عن «وطن»
- (XI) السيد علي الأمين
الأحزاب الدينيّة الشيعيّة
بين
شهوة السلطة ورساليّة الأئمّة^(ع)

«لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.»

المادة ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

دفاتر هيا بنا

دورية تُعنى بالشأن العام تصدر مؤقتاً على هيئة دفتر أو سمواه.

- (I) فادي توفيق ولقمان سليم
كيف انتخابات حرة في دار حرب؟
قراءة في انتخابات الجنوب ٢٠٠٥
- (II) حازم صاغية
سورية ولبنان: أبعد من سياسة ونظام...
- (III) يحيى جابر
قمر ١٤ آذار
بيان من أرقام
- (IV) حازم صاغية، وسام سعادة، يوسف بزّي، فيديل سبيتي،
رامي الأمين، محمد الحجيري، بيار عطا الله، وائل
خير، فرح بيرقدار، فادي توفيق، لقمان سليم
شمعة على الانكفاء البعثي عن لبنان
٢٦ نيسان ٢٠٠٥ - ٢٦ نيسان ٢٠٠٦
- (V) محمد حسين شمس الدين
«الطائفة» في حالتها القصوى
الشيعية اللبنانيون الآن وهنا
- (VI) السيد علي الأمين
ولاية الدولة ودولة الفقيه
الشيعية وتحديات المواطنة

«Everyone has the right to freedom of opinion and expression; this right includes freedom to hold opinions without interference and to seek, receive and impart information and ideas through any media and regardless of frontiers.»

Article 19 of the Universal Declaration of Human Rights

Hayya Bina's Log

A periodical dealing with matters concerning the *res publica*, temporarily published as a log or other.